# الفقه الأمني للإمام والخطيب في توجيهاتهما

( دراسة مختصرة في نصوص الكتاب والسنة )

**بحث مُقدم للملتقى العلمي الأول للأئمة والخطباء**

**١٧- ١٨شوال ١٤٣٠هـ**

**إعداد**

**الدكتور/ محمد بن يحيى غيلان**

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فأقدم هذه الورقة في الملتقى العلمي الأول الذي يقيمه المعهد العالي للأئمة والخطباء بجامعة طيبة.

وسيكون البحث - بإذن الله - في المحور الأول: **التأثير المعرفي للأئمة والخطباء في قضايا المجتمع وثقافته**[1]، وستكون بعنوان: **الفقه الأمني للإمام والخطيب في توجيهاتهما.**

**( دراسة مختصرة في نصوص الكتاب والسنة )**

**المقدمة وفيها: تمهيد ومطالب.**

**تمهيد:**

يعد هذا البحث من الأبحاث القليلة التي كتبت في هذا الواجب الكبير خاصة في هذه الأيام التي ظهرت فيها الأفكار الهدامة والأهواء المتفرقة، وظهر فيه بعض أدعياء العلم فحرف بعض الجهلة بفهم سيء بعض نصوص الكتاب والسنة.

وبسبب الجهل في فهم الشريعة – مع النوايا السيئة من البعض - وتأثر بعض الناس بهذه الأفكار والآراء المنحرفة حصل بغي وعدوان منشأه ذلك الفهم السيئ، فاعتدي على الحرمات، وظهر التمرد على بعض أحكام الشريعة، فكان لزاما على علماء الأمة وطلاب العلم – من باب الإتيان بالواجب الكفائي[2] – أن يقوموا بواجب البيان ورد الشبهات.

وأكثر الناس صلة بأكثر شريحة في المجتمع هم الأئمة والخطباء، ولذلك كان الحمل عليهم ثقيلا في مواجهة هذه الأمور، وتوعية الناس وتثقيفهم، وبيان سماحة الدين، وسعته وعظمته.

---

(١) المحور الأول للملتقى بعنوان: التأثير المعرفي للأئمة والخطباء في قضايا المجتمع وثقافته ، ومحاوره هي:

١- تأثير الأئمة والخطباء في تحقيق الأمن الفكري والانتماء الوطني.

٢- تأثير الأئمة والخطباء في تحقيق التكافل الاجتماعي والأسري.

٣- الأئمة والخطباء وثقافة الحوار مع المخالف

(٢) أرى أنه لزاما على من يجد في نفسه القدرة على رد الشبه - وتفنيد الآراء المنحرفة - القيام بهذا الواجب؛ نصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وهذا بحث فيه بعض المفاتيح للتوجيهات الصحيحة التي يقوم بها الخطيب والإمام في سبيل إلى تربية للمجتمع قائمة على الوعي الصحيح والعلم الشرعي المستمد من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وفهم علماء الأمة لهذا الدين.

وإني في هذه العجالة أستغفر الله من كل خلل أو قصور، وإليه أرفع يدي أن يتقبله، وينفع به إنه العفو الشكور(١).

**المطلب الأول: شكر وإشادة وتقدير.**

يقول الله تعالى : [ ... ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ... ] الآية(٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : (( من لا يشكر الناس لا يشكر الله )) (٣).

فالآية الكريمة والحديث شريف يدلان دلالة واضحة على أن من يعيش ليناً متعاونا مع الآخرين شاكر لمستحق الشكر منهم جدير بأن يكون ممن يشكر الله حقا، وعكسه من لا يقدم الشكر لبني الإنسان فإنه سيكون بعيدا عن زمرة الشاكرين لربهم سبحانه وتعالى.

فشكراً الله على ما أنزل وأرسل، وعلم وبين، وهيأ ووفق، وأعان وسهل، ورزق وسخر، وأغنى وأقنى، فله الأسماء الحسنى والصفات العلى.

والشكر الجزيل لحكومتنا الرشيدة ـــ وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين، وولي عهده والنائب الثاني فما هذه الجامعة المباركة في طيبة الطيبة ـــ في زمرة أخواتها من الجامعات ـــ إلا أدلة شاهدة على العناية التي يلقاها التعليم بجميع مراحله في هذه الدولة المباركة، وكل ذلك من أجل مواطن مثقف يحمل من المعرفة ما يقيم به أمور دينه ودنياه على الوجه الذي يجعله مواطنا صالحا نافعا لأمته ووطنه.

كما أشكر جامعة طيبة والمعهد العالي للأئمة والخطباء الذي أتاح لي وللإخوة الفضلاء الكتابة في هذا الملتقى في هذه المحاور البناءة والمواضيع الموجهة.

**المطلب الثاني: أسباب اختيار الموضوع:**

---

(١) لم أتعرض للمسائل الفقهية الخلافية، وإن كنت ذكرت – مختصرا - ما قام الدليل عليه في ثنايا البحث.

(٢) سورة لقمان الآية رقم ( ١٢) .

(٣) رواه أحمد في المسند ( ٢ /٢٩٥ )، وأبو داود برقم ( ٤٨١١ ) انظر سنن أبي داود ( ١٥٧/٥، ١٥٨ )، والترمذي برقم ( ١٩٥٤ ) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . انظر سنن الترمذي ( ٣٣٩/٤ ) .

لقد كان لاهتمامي بإظهار الجوانب الأمنية في النواحي التعليمية والتربوية الأثر الكبير للتوجه لهذا الموضوع في هذا الملتقى المبارك، فقد كتبت ثلاثة بحوث في الجوانب الأمنية للجهات التعليمية والتربوية، وكلها مطبوعة.

وبالإضافة إلى ما سبق فأني أعايش البذل الواضح لهذا المعهد المبارك في نشر الوسطية والاعتدال، بل وأشارك في هذا العمل البناء الذي يدعمه ولاة الأمر حفظهم الله في هذه البلاد الطيبة.

ويعلم الجميع أن إنشاء المعهد العالي للأمة والخطباء بجامعة طيبة، والمعهد العالي للحسبة بجامعة أم القرى كان لهذا الغرض النبيل بأمر من خادم الحرمين الشريفين حفظه الله تعالى، وجزاه الله خير الجزاء عن العلم وأهله.

وما يقع من العدوان على الممتلكات والأنفس - من بعض الخارجين الذين قل علمهم وظهر جهلهم – كان له دور في الكتابة في هذا الموضوع الحساس.

ولا يخفى أن كثيرا من الأئمة والخطباء يحتاجون لبعض التذكير بهذه النقاط المهمة التي سأقوم بالكتابة فيها في ثنيا هذا البحث.

وأخيرا أرجو من الله الكريم أن يجعل في هذا لمشاركة الفائدة المرجوة من إقامة هذا الملتقى، ويجعل فيها إضافة للمكتبة العلمية والتربوية ما يرفع من المستوى العلمي، والحس الأمني للإمام والخطيب، وأن يجعل كل ذلك خالصا لوجهه الكريم.

**المطلب الثالث: أهداف الموضوع:**

لعل من أبرز أهداف الموضوع إبراز الدور الأمني للعلم والتعليم، وأن العلم - بإذن الله – طريق لمعرفة ما يجب على الإنسان وما يجوز له وما ينهى عنه.

ومن خلال هذا الموضوع سيتم – إن شاء الله - إظهار الدور الريادي للإمام والخطيب، وبيان عظيم مكانة كل منهما في تحقيق الوسطية والاعتدال الذين يقودان للسعادة والفلاح.

ومن خلال هذا المحور والموضوعات التي تدور حوله يتبين لنا الجهد الذي يقوم به المعهد العالي للأئمة والخطباء في سبيل أداء الرسالة التي أوكلت إليه.

كما تظهر من خلال هذا الملتقى العناية والاهتمام الذي يوليه معالي مدير الجامعة وعميد المعهد وجميع العاملين فيه للارتقاء به إلى أعلى مراتب الجودة، ليكون في مصاف منارات العلم المتقدمة في العالم الإسلامي.

**المطلب الرابع: أهمية الموضوع:**

حتى لا يعيش رواد التوجيه والوعظ والإرشاد بعيدين عن المجتمع - وما يدور فيه من أحداث – كان لزاما على رواد الوسطية والاعتدال ممن يحمل مشعل العلم ونور السعادة أن يدلوا بآرائهم وأفكارهم في مثل هذا الموضوع الذي تصل فائدته للكل فرد من أفراد المجتمع.

كما تأتي أهمية هذا الموضوع في دراسة نصوص الوحيين، والاستفادة من أخبارهما في الجوانب التي يهتم بها الباحث في موضوعه.

والدارس لنصوص الكتاب والسنة يجدها جميعا لم تأت إلا لفائدة، وكلها تؤدي – عند لاستجابة لها - إلى الحياة السعيدة والأمن والخير والرخاء.

وفي الاهتمام بأهم القضايا الأمنية في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ما يعطي البحث أهمية كبيرة، لأن السعادة لا تكون في واقع الناس ما لم يتحقق فيها الأمن في هذه الأمور الأربعة، وبذلك يأمنون من على دينهم وأنفسهم وأعراضهم وعقولهم وموالهم.

**المطلب الخامس: الخطة وعملي في البحث:**

بعد حديثي في التمهيد والمقدمات بنيت هذا البحث على مبحثين ومطالب، وختمته بأهم لنتائج والتوصيات وببعض الفهارس التي تقرب ما تضمن من معلومات، كالآتي:

المقدمة وفيها: تمهيد ومطالب.

المطلب الأول: شكر وإشادة وتقدير.

المطلب الثاني: أسباب اختيار الموضوع.

المطلب الثالث: أهداف الموضوع.

المطلب الرابع: أهمية الموضوع.

المطلب الخامس: الخطة وعملي في البحث.

المبحث الأول: توجيهات الخطيب والإمام الأمنية العامة، وفيه تمهيد ومطالب:

المطلب الأول: تعريفات عامة.

المطلب الثاني: مسؤولية الخطيب والإمام الأمنية.

المطلب الثالث: أهم الصفات التي يجب أن يتميز بها الإمام والخطيب.

المطلب الرابع: معالجة القرآن الكريم لبعض القضايا الفكرية الهامة في حياة الأمة والاستفادة منها في توجه المجتمع.

المطلب الخامس: معالجة النبي صلى الله عليه وسلم لبعض القضايا الفكرية التي تخل بالأمن.

المبحث الثاني: الأبعاد الأمنية والفكرية في مواعظ الخطيب والإمام وتوجيهاتهما، وفيه مطالب.

المطلب الأول: إبراز أثر الانحرافات الفكرية في المجتمع، وأنها إخلال بالأمن، وسبب للعقوبات.

المطلب الثاني: متابعة الانحرافات الأمنية والفكرية في المجتمع، ووضع الحلول لها.

المطلب الثالث: متابعة الإيجابيات الأمنية والفكرية والإشادة بها.

المطلب الأخير: في الخاتمة وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

وفي كل نقطة من النقاط السابقة سأضع بين يدي القارئ ــ بإذن الله ــ مختصرا من المعلومات النافعة، أشير خلالها إلى الآيات وأرقامها وسورها، كما أخرج الأحاديث والآثار، وأحيل كل معلومة استقيتها إلى مرجعها.

وسأختم الورقة ــ بإذن الله ــ بالفهارس الآتية:

١ــ فهرس الآيات الكريمة. ٢ــ فهرس الأحاديث والآثار. فهرس المصطلحات العلمية. ٤ــ فهرس الأعلام. ٥ــ فهرس المراجع . ٦ــ فهرس الموضوعات.

وأسأل الله التوفيق والسداد.

## المبحث الأول: توجيهات الخطيب والإمام الأمنية العامة، وفيه مطالب:

### تمهيد:

يحمل الإمام والخطيب رسالة كبيرة ومهمة عظيمة؛ فهما يرثان أعظم ميراث من أعظم مورث، إنهما يرثان العلم ويقدمان للمجتمعات الرسالة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، فحظهما – مع الإخلاص- أعظم الحظوظ؛ قال صلى الله عليه وسلم: (إن الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)[١].

والأئمة والخطباء يهدون بأمر الله وينيرون الطريق للناس، فهم أئمةٌ للخير يرشدون الناس إلى البر والتقوى، ويقتدي بهم الناس في فعل الخيرات وترك المنكرات، ويهتدون بهم في المسارعة إلى الطاعات، وقد وصف الله أفضل القدوات؛ الذين هم الصفوة من خلقه؛ وهم الأنبياء فقال سبحانه: ( وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)[٢]، قال ابن كثير: (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً )، أي: يقتدي بهم، (يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا، أي: يدعون إلى الله بإذنه؛ ولهذا قال: (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ) من باب عطف الخاص على العام[٣]، (وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) أي: فاعلين لما يأمرون الناس به[٤]، وقال القرطبي: (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) أي: رؤساء يقتدى بهم في الخيرات وأعمال الطاعات[٥].

ولمكانة الإمامة؛ أعني إمامة الناس في الصلاة والخير - ومن مكملاتها الخطابة – كان طلبها من الله من جملة دعاء عباد الله الصالحين قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ

---

(١) رواه البخاري تعليقا، كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل. انظر صحيح البخاري (٣٧/١). ورواه أبو داود في سننه برقم (٣٦٤١). انظر سنن أبي داود (٣١٧/٣) ورواه الترمذي برقم (٢٦٨٢). انظر سنن الترمذي (٤٨/٥)، ورواه وابن ماجة برقم (٢٢٣).انظر سنن ابن ماجة (٨١/١).

(٢) سورة الأنبياء الآية رقم (٧٣).

(٣) لأن لفظ الخيرات عام فكل من الصلاة والزكاة لفظ خاص معطوف على العام بعده.

(٤) انظر تفسير ابن كثير (١٨٦/٣).

(٥) انظر تفسير القرطبي (٣٠٥/١١).

أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)[1]، قال ابن كثير: هداة مهتدين [ودعاة] إلى الخير، فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم، وأن يكون هداهم متعديًا إلى غيرهم بالنفع، وذلك أكثر ثوابًا، وأحسن مآبًا[2].

وقد أفرد الفقهاء – رحمهم الله- للإمامة بابا في الفقه، وتدرس الإمامة والخطابة دراسة منهجية، وذلك لمكانتهما وعظيم أثرهما في المجتمعات.

ولمكانة الإمامة والخطابة كان هذا البحث في هذا الملتقى العلمي الأول المبارك تحت رعاية المعهد العالي للأمة والخطباء في جامعة طيبة.

**المطلب الأول: تعريفات عامة.**

تعريف الأمن:

الأمن لغة: مصدر أمن يأمن، والأمن ضد الخوف[3]، وفي لسان العرب: الأَمانُ والأَمانةُ بمعنى وقد أَمِنْتُ فأَنا أَمِنٌ وآمَنْتُ غيري من الأَمْن والأَمان والأَمْنُ ضدُّ الخوف والأَمانةُ ضدُّ الخِيانة والإيمانُ ضدُّ الكفر[4].

والأمن اصطلاحا: يعرف مطلقا بأنه ضد الخوف – كما تقدم في المعنى اللغوي - ومعناه: عدم توقع مكروه في الزمن الآتي[5]. ثم يمكن تعريف الأمن بحسب ما يضاف إليه، إليه، فيقال: الأمن الفكري، الأمن السياسي، الأمن النفسي، الأمن التربوي، والأمن الغذائي ... .إلخ[6].

الإمامة: في اللغة مصدر أمَّ القوم يؤم بهم، قال في المصباح المنير: أَمَّهُ وأَمَّ به إِمَامَةً صلى به إماما[7].

(1) سورة الفرقان الآية رقم (٧٤).

(2) انظر تفسير ابن كثير (٣٣١/٣).

(3) انظر لسان العرب لابن منظور (٢١/١٣).

(4) انظر المرجع السابق (٢١/١٣).

(5) انظر التعريفات للجرجاني (ص٥٥).

(6) كما ذهب إلى تعريفه كل أهل فن مذكور بما يتوافق والمعنى المضاف إلى الأمن.

(7) انظر المصباح المنير (٢٣/١).

الإمام اصطلاحا: هو من يتقدم الناس في الصلاة بشروط[١] فيقتدون به في أفعالها وجوبا[٢] من التكبير حتى السلام[٣].

والإمام له عدة إطلاقات، قال الرازي: الإمام في اللغة كل من ائتم به قوم كانوا على هدى أو ضلالة[٤] فالنبي صلى الله عليه وسلم إمام أمته ، والخليفة إمام رعيته ، والقرآن إمام المسلمين وإمام القوم هو الذي يقتدى به في الصلاة[٥].

الخطبة في اللغة: بضم الخاء مصدر خطب يخطب، يقال: خطب يخطب بالضم خطابة بكسر الخاء[٦].

واصطلاح: الخُطْبَة: اسمٌ للكلام الذي يَتَكَلَّمُ به الخَطِيب[٧]،وقيل: الخطبة بضم الخاء الخاء وهو الكلام المؤلف المتضمن وعظا وإبلاغا[٨].

وقد اشترط العلماء شروطا في الخطيب والخطبة، تراجع في مظانها[٩].

المواعظ: جمع موعظة، تقول: وَعَظْتُهُ وَعْظاً وعِظَةً فاتَّعَظَ[١٠].

---

(١) منها التقدم في قراءة القرآن الكريم، والعلم، والعمر ونحو ذلك، قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بالسُّنَّةِ فَإِنْ كَانُوا في السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا. رواه مسلم كتاب: المساجد برقم (٦٣). انظر صحيح مسلم (١/٤٦٥).

(٢) لقوله صلى الله عليه وسلم (إنما جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فإذا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا وإذا رَكَعَ فَارْكَعُوا وإذا سَجَدَ فَاسْجُدُوا وَإِنْ صلى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا). متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: أبواب الصلاة في الثياب، باب: الصَّلَاةِ في السُّطُوحِ وَالْمِنْبَرِ وَالْخَشَبِ. انظر صحيح البخاري (١/١٤٩)، ورواه مسلم كتاب: الصلاة، برقم (٤١١). انظر صحيح مسلم (١/٣٠٨).

(٣) من مجموع ما ذكره العلماء في تعريف الإمام.

(٤) قال تعالى (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ). سورة القصص الآية رقم (٤١).

(٥) انظر تفسير الرازي (٢١/١٤).

(٦) انظر الصحاح للجوهري (٢/١٣٧).

(٧) انظر المرجع السابق(٢/١٣٧).

(٨) والوسيط للغزالي (٢/٢٨٥).

(٩) انظر بدائع الصنائع للكاساني (٢/١٥١)، والذخيرة للقرافي (٢/٣٤٥)، الأم للشافعي (١/٢٠٢)، والمجموع للنووي (٤/٤٣٨)، والمغني لابن قدامة (٢/٧٥).

(١٠) انظر الصحاح للجوهري (٤/٣١٧).

الموعظة اصطلاحا: الموعظة هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون الجامدة وتصلح الأعمال الفاسدة[١].

وفي التعريف الاصطلاحي بعض شروط الموعظة، كما يشترط فيها البلاغة وعدم الطول، وأن توافق لحال[٢].

التوجيهات: جمع توجيه، والمراد بها القضايا والمقاصد التي يتعرض لها الإمام والخطيب في قراءاته وخطبه ومواعظه وإرشاداته.

تعريف الأمن الفكري:

ولأهمية الأمن الفكري وكثرة الدارسين له تقدم الباحثون فيه بتعريفات كثيرة، ومن أجود التعاريف التي رأيتها تعريف الدكتور/ محمد السيد عرفة[٣]، فقد قال – بعد عرض تعريفات الأمن الفكري لدى المتخصصين - مفهوم الأمن الفكري يشمل توصيف المهددات والأخطار والمصادر والأسباب التي تؤدي؛ أو يمكن أن تؤدي إلى هز القناعات الفكرية أو الثوابت العقدية والمقوم الأخلاقي والاجتماعي والديني للأمن الوطني ، والسياسات العامة والإجراءات والنشاطات المطلوبة لحماية المنظومة العقدية والأخلاقية والقيمية من كل فكر شاذ أو منحرف أو متطرف أو معتقد خاطئ ومواجهة ذلك بكل السبل والوسائل[٤].

**المطلب الثاني: مسؤولية الخطيب والإمام الأمنية.**

المسئولية الأمنية قضية أساسية في كل مجتمعات الدنيا، وتبذل الدول جميع إمكانياتها من أجل تحصيل هذه الغاية التي ينشدها كل حي.

---

(١) انظر التعريفات للجرجاني (ص٣٠٥).

(٢) جعل بعض العلماء شروط الموعظة نفس شروط الخطبة.

(٣) عضو هيئة التدريس بكلية الدراسات العليا جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

(٤) انظر موقع كلية الملك فهد الأمنية مجلة البحوث العدد ٤٢ الصادر في ٤/١٤٣٠هـ- الموافق ٤/٢٠٠٩م، في حلقة بعنوان: تقرير حول حلقة علمية بعنوان: "مكافحة الإرهاب وتنمية الحس الأمني" نظمتها جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بمقرها في مدينة الرياض ٢٥-٢٨/١٢/١٤٢٥هـ الموافق ٥-٨/١٢/٢٠٠٥ م، عنوان كلية الملك فهد الأمنية/ http://www.kfsc.edu.sa/Docs/index.aspx.

ولذلك جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية حافلة بقضية الأمن، فقد امتن الله على قريش بالأمن الذي أسبغه عليهم فقال تعالى: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ () الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)(١)، وأنكر عليهم خوفهم - إذا اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم - من أخذ الناس لهم وقتلهم وطردهم من أرضهم، فجَهَّلَهم الله تعالى فقال: (وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آَمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)(٢)، قال ابن كثير رحمه الله: يعني هذا الذي اعتذروا به كذب وباطل إن الله تعالى جعلهم في بلد آمن وحرم معظم آمن منذ وضع فكيف يكون هذا الحرم آمنا لهم في حال كفرهم وشركهم ولا يكون آمنا لهم وقد أسلموا وتابعوا الحق(٣).

ولأهمية الأمن في جميع المجتمعات الإنسانية تعددت الدراسات حوله، وتعددت الجوانب الأمنية التي قام المصلحون بدرسها، حتى شملت جميع جوانب الحياة.

وحري بقضية الأمن أن تكون كذلك، فبقاء الجنس الإنساني والحياة السعيدة في جميع الجوانب، والتقدم والازدهار، والترقي في درجات الحضارة لا يكون إلا مع الأمن حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم حكم لمن تكنفه الأمن من جميع جوانبه بحيازة الدنيا، قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِى سِرْبِهِ(٤) مُعَافًى فِى جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)(٥).

---

(١) سورة الفيل الآيتان رقم (٣، ٤).

(٢) سورة القصص الآية رقم (٥٧).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٦).

(٤) قال في النهاية: يقالُ فُلانٌ آمِن في سِرْبه بالكَسر : أي في نفْسه، وفلان واسعُ السِّرْب : أي رَخِيُّ البالِ . ويُروى بالفَتح وهو المَسْلك والطَّرِيق . يقال خَلِّ سَرْبَه : أي طريقه، ومنه حديث ابن عمرو (إذا مات المُؤْمن تَخَلَّى له سَرْبُه يَسْرَح حيثُ شاء) أي طريقهُ ومذهَبه الذي يمرُّ فيه. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣٥٦/٢)، قلت: أثر ابن عمر لم أجده بلفظ: تخلى له سربه، ولكن ابن الأثير ذكره كما تقدم.

(٥) رواه الترمذي برقم (٢٣٤٦). انظر سنن الترمذي (٥٧٤/٤)، ورواه ابن ماجة برقم (٤١٤١).انظر سنن ابن ماجة (١٣٧٨/٢).

قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ مَرْوَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ. وَحِيزَتْ جُمِعَتْ. انظر سنن الترمذي (٥٧٤/٤).

ويكون الإنسان آمنا إذا توفر له الأمن في معتقده، ونفسه، وعرضه، وعقله، وماله، وهذه الكليات الخمس التي جاءت جميع الشرائع بتحقيقها، وهي التي ويقصد المقننون من البشر – فيما زعموا – المحافظة عليها وتحقيقها، وهم بعيدون كل البعد عن تحقيقها؛ لأن تحقيقها لا يكون إلا بتطبيق شرع الذي يعلم السر وأخفى، فهو الذي يعلم كل مـــا فيـــه الصلاح لمن خلق، قال تعال: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)(١).

والمسؤولية الأمنية مسؤولية الجميع، وإنما خصص الإمام والخطيب لمراعـــاة حـــال البحث، وقد أناط النبي صلى الله عليه وسلم المسؤولية عموما بكل أفراد المجتمع بدءاً برأس الهرم الحاكم وانتهاء بآخر المجتمع من الأرقاء والخدم، قال صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُـــمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ رَاعٍ ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ فِى أَهْلِهِ رَاعٍ ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِى بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهْىَ مَسْـــئُولَةٌ عَـــنْ رَعِيَّتِهَـــا ، وَالْخَادِمُ فِى مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)، قَالَ فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَحْسِبُ النَّبِىَّ - صلى الله عليه وسلم – قَالَ: وَالرَّجُلُ فِى مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)(٢).

فالحديث دليل على عموم المسؤولية، ومعناه أن كل هؤلاء مسؤولون عما استرعاهم الله فيه من الأمور الدنيوية والأخروية، وعن الولايات التي هيأها لهم صغرت تلك الولايات أو كبرت، قال النووي رحمه الله: قَالَ الْعُلَمَاء : الرَّاعِي هُوَ الْحَافِظ الْمُؤْتَمَن الْمُلْتَزِم صَلَاح مَا قَامَ عَلَيْهِ ، وَمَا هُوَ تَحْت نَظَره ، فَفِيهِ أَنَّ كُلّ مَنْ كَانَ تَحْت نَظَره شَيْء فَهُوَ مُطَالَـــب بِالْعَدْلِ فِيهِ ، وَالْقِيَام بِمَصَالِحِهِ فِي دِينه وَدُنْيَاهُ وَمُتَعَلِّقَاته(٣).

## المطلب الثالث: أهم الصفات التي يجب أن يتميز بها الإمام والخطيب:

لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم مكانة الإمام في الصلاة فحث على أن يكون أكبر الموجودين عمرا وأكثرهم أخذا للقرآن، ففي حديث قال صلى الله عليه وســـلم موجهـــا لبعض الصحابة رضي الله عنهم: (فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ

---

(١) سورة الملك الآية رقم (١٤).

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: العتق، باب: الْعَبْدِ إذا أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ سَيِّدَهُ . انظر صحيح البخاري (٩٠٢/٢)، ورواه مسلم - بتغيير يسير – كتاب: الإمارة، برقم (١٨٢٩). انظر صحيح مسلم (١٤٥٩/٣).

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٢١٣/١٢).

)[1]، وقال في رواية أخرى: (فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ ، فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا[2]، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الترتيب في الإمامة فقال: (يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ كَانُوا فِى الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنْ كَانُوا فِى السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً فَإِنْ كَانُوا فِى الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا وَلاَ يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِى سُلْطَانِهِ وَلاَ يَقْعُدْ فِى بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ)[3].

وإذا كان هذا شأن الإمام فالخطيب شأنه أكبر؛ لأنه ينقل للناس فقه القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وهديهما، فهو يحمل للناس مشعل الدلالة والإرشاد، ويضيء للناس الطريق إذا احلولك ظلام الفتن وانتشرت المعاصي، وعمت الفوضى.

وقد أولى العلماء الخطيب اهتماما خاصا لما يلقيه من توجيهات ومواعظ على أسماع المأمومين، وللأمانة العظيمة التي يجب أن يكون عليها قوله، وما يجب أن يتمثله من الصدق والتحقيق والتثبت، ففي المؤتمر الذي انعقد في مكة المكرمة في رابطة العالم الإسلامي ما بين الخامس عشر والثامن عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩٥هجرية بعنوان رسالة المسجد في العالم الإسلامي، وحضره ممثلون من ثمانين دولة ومنظمة إسلامية كان من توصياته فيما يتصل باختيار الإمام والخطيب ما يأتي:

١ - أن يكون قوي الصلة بربه وقدوة لغيره ، آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر قادرا على الجهر بكلمة الحق .

٢ - أن يقصد بما يقدمه من أعمال وجه الله والدار الآخرة وأن يبتعد عن الرياء والمجاملة في الحق وأن يكون زاهدا في مدح الناس وثنائهم .

٣ - أن يكون دائم الصلة بالأصلين الأساسيين والينبوعين الصافيين : كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- دراسة وتأملا واستنباطا وعملا يستمد من نورهما ويقف عند حدودهما .

---

(١) رواه البخاري كتاب: صفة الصلاة، باب: الْمُكْثِ بين السَّجْدَتَيْنِ. انظر صحيح البخاري (٢٨٢/١).

(٢) رواه البخاري كتاب: المغازي، باب: من شهد الفتح. انظر صحيح البخاري (١٤٦٥/٤).

(٣) رواه مسلم كتاب: المساجد، برقم (٦٧٣).نظر صحيح مسلم (٤٦٥/١).

٤ - أن يكون دقيق الفهم واسع الإطلاع محيطا بالبيئة التي يعيش فيها إحاطة تامة بأحوالها وظروفها والتيارات والتحديات التي تتعرض لها .

٥ - أن يدرس التاريخ الإسلامي والإنساني وأن يكون ملما بقسط كبير من علوم الكون والحياة .

٦ - أن يكون له ثروة طائلة من النصوص واللغة وأن يكون على علم ببعض اللغات غير العربية ليتمكن من الإطلاع على ما يكتبه الأصدقاء والأعداء عن الإسلام ومن إفهام وإقناع من يتكلم بغير العربية من المسلمين وغير المسلمين .

٧ - أن يكون على مستوى المسئولية والكفاية العلمية حتى يستطيع أن يعالج ما يعرض له بحجة قوية وأسلوب مقنع .

٨ - أن يكون ذا خلق كريم وسلوك مستقيم ليكون محبوبا لقومه فيؤمنوا عن صدق بما يقول ويستجيبوا لما يرشدهم إليه .

٩ - أن يكون حليما صبورا حريصا على إفادة أهل حيه وتنوير بصائرهم .

١٠ - أن يزهد بما عند الناس ويقنع بما أعطاه الله حتى يكون عزيزا بينهم أهلا لاحترامهم ومودتهم بعيدا عن التعرض لإهانتهم .

١١ - أن يكون حسن التلاوة لكتاب الله عالما بأحكام التجويد .

١٢ - أن يكون حسن المظهر يتسم بالوقار[١].

إن هذه الضوابط التي تمخض عنها مؤتمر بهذا الحجم تدل على مكانة الخطيب وأهمية العمل الذي يؤديه، كيف لا يكون الخطيب كذلك ومعظم توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم بعد تلاوة القرآن كانت عن طريق الخطب في صلاة الجمعة، والمواعظ عقب الصلوات المفروضة أو الصلوات التي ينادى لها بالصلاة جامعة.

وكيف لا يكون هذا الاهتمام بالخطيب وهو الشخصية العلمية الوحيدة التي يتعبد الناس – لله - بسماع كلامها خلال الخطبة؛ ولذلك تجد أن الناس يناقشون أقواله حتى الخطبة الثانية.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية (٢/ ٥٥٧، ٥٥٨).

أقول: ولا يخفى أن بعض التوصيات تتضمن بعض الأمور التي تعالج وضع الخطيب في بلاد غير المسلمين.

وسأزيد – بإذن الله - بعض الشرح على هذه الضوابط التي ذكرت في توصيات المؤتمر السابق، أو أضيف إليها بعض الفوائد فيما يأتي:

فيلزم الإمام والخطيب أن يكونا على جانب كبير من الوعي والمعرفة والأخلاق، مهتدين بالقرآن الكريم، وقدوتهما في ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه بعض الأخلاق التي كان يتحلى بها النبي القدوة عليه الصلاة والسلام:

**أولا:** التواضع ولين الجانب مع المؤمنين، وهذه من أعظم الصفات لتي تفضل الله بها على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ)(١).

ففي الآية دليل على أن انعدام هاتين الصفتين يؤدي إلى نتيجة عكسية وهي النفرة والاختلاف، فعلى الإمام والخطيب أن يكونا على جانب كبير من التواضع ولين الجانب، والدعاء والاستغفار للمؤمنين، حتى يتمكنا من قلوب المخاطبين.

**ثانيا:** بذل الجهد في إيصال الخير إلى المأمومين والحرص كل الحرص على ذلك، والرأفة والرحمة بهم، وقد وصف الله بهذه الصفات نبيه صلى الله عليه وسلم وأثنى عليه بها، قال تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)(٢)، قال ابن كثير رحمه الله: وقوله: (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) أي: يعز عليه الشيء الذي يَعْنَتُ أمته ويشق عليها؛ ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال: (بعثت بالحنيفية السمحة)(٣)وفي الصحيح: (إن هذا الدين يسر)(٤) وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة، يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه، (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) أي: على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم(٥).

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم (١٥٩).

(٢) سورة التوبة الآية رقم (١٢٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/٢٦٦)، قال الهيتمي في مجمع الزوائد فيه راو ضعيف. انظر مجمع الزوائد. انظر مجمع الزوائد (٢/٢٦٠).

(٤) رواه البخاري بالفظ: (إن الدين يسر... .) الحديث، كتاب: الإيمان، باب: الدِّينُ يُسْرٌ وَقَوْلُ النبي صلى الله عليه وسلم أَحَبُّ الدِّينِ إلى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ . انظر صحيح البخاري (١/٢٣).

(٥) انظر تفسير ابن كثير(٢/٤٠٤، ٤٠٥).

فحري بالخطيب والإمام – وهما من وراث النبي صلى الله عليه وسلم في العلم – أن يتحليا بهذه الصفات العظيمة التي تجعل الناس يألفونهما، ويستشيرونهما في ما يعترض حياتهما من هموم وأحداث، وما يطرأ على أفكارهما من متغيرات قد يكون بعضها ضارا، وقد يكون ذلك الضرر متعديا إلى الآخرين.

**ثالثا:** أن يكون الإمام والخطيب أول المنفذين لما يحثان الناس عليه، ويدعوانهم للانقياد له، وقد كان صلى الله عليه وسلم القدوة في كل ما يدعوا إليه، وهكذا كان أصحابه رضي الله عنهم، وعلى هذا الهدي سار المصلحون من بعدهم.

وقد أنكر الله غاية النكير على من يأمر الناس بالبر ولا يعمل به، فقال تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[١]، قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى: كيف يليق بكم -يا معشر أهل الكتاب، وأنتم تأمرون الناس بالبر، وهو جماع الخير-أن تنسوا أنفسكم، فلا تأتمروا بما تأمرون الناس به، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب، وتعلمون ما فيه على من قَصر في أوامر الله؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون[٢].

وقد أنكر الله في كتابه على الذين يقولون ما لا يفعلون، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ() كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)[٣]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه جاءه رجل فقال: يا ابن عباس إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، قال: أبلغت ذلك؟ قال أرجو، قال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل، قال: وما هن؟ قال: قوله تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ)، أحكمت هذه؟ قال: لا، قال: فالحرف الثاني قوله تعالى: (لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ() كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)، أحكمت هذه؟ قال: لا، قال: فالحرف الثالث؛ قال: قول العبد الصالح شعيب عليه السلام: (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ)[٤]، أحكمت هذه الآية؟ قال: لا، قال: فابدأ بنفسك[١].

---

(١) سورة البقرة الآية رقم (٤٤).

(٢) انظر تفسير ابن كثير(١/٨٦).

(٣) سورة الصف الآيتان (٢، ٣).

(٤) سورة هود الآية رقم (٨٨).

وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم ما يبين عقوبة من يعمل بخلاف ما يأمر أو بخلاف ما ينهى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُونَ أَيْ فُلاَنُ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ)[٢].

ولاقتران القول بالعمل أهمية كبيرة، والإمام والخطيب من أهم من يجب أن يوافق قولهما عملها، لأنهما القدوة للمأمومين، وقد حكى النبي صلى الله عليه وسلم ما رآه ليلة أسري به من حال الخطباء الذين يقولون ما لا يفعلون، فقال: (لَمَّا أُسْرِىَ بِى مَرَرْتُ بِرِجَالٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قَالَ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَؤُلاَءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ؛ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ يَعْقِلُونَ)[٣].

وإذا توفرت تلك الصفات العظيمة في الإمام والخطيب، ووافق قولهما عملهما، كانا أقرب إلى المجتمع، ويثق بهما الناس، ويجعل الله لقولهما القبول.

## المطلب الرابع: معالجة القرآن الكريم لبعض القضايا الفكرية الهامة في حياة الأمة والاستفادة منها في توجه المجتمع.

إن استغلال الوقائع والأحداث - لبيان مكانة الأمن الفكري وعظيم شأنه في إصلاح المجتمعات – شرع سماوي حكيم، وتوجيه نبوي كريم، وفي دلالات أسباب النزول للآيات القرآنية خير شاهد.

لقد استمر نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا وعشرين سنة[٤]، وكان كثير من آياته يترل على النبي صلى الله عليه وسلم لبيان عقيدة باطلة، أو لتثبيت عقيدة صحيحة، أو أمر بعبادة، أو نهي عن معصية، أو دفع شبهة في قول، أو فعل، أو إجابة عن

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٨٧/١)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور لابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان، وابن عساكر. انظر الدر المنثور (١٥٨/١).

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: بدء الخلق، باب: صِفَةِ النَّارِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ. انظر صحيح البخاري (١١٩١/٣)، ورواه مسلم كتاب: الزهد والرقائق، برقم (٢٩٨٩). انظر صحيح مسلم (٢٢٩٠/٤).

(٣) رواه أحمد في المسند (١٨٠/٣).

(٤) وقيل في عشرين، وهذا على حساب فترة انقطاع الوحي بعد نزول أول آياته. انظر تفسير ابن كثير (٣١٩/٣).

سؤال، أو قصة توافق الحال، أو توجيه للمؤمنين يبين الحقيقة الصواب، والمراد من كل ذلك إصلاح المجتمع عقيدة ومنهجا.

وفي هذه العجالة يمكنني أن أضرب بعض الأمثلة على بعض الأمور التي كانت أسبابا لنزول بعض آيات القرآن الكريم:

**المثال الأول:** بعض انحرافات الجاهلية في العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات، قال تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ() وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ() وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ() وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ() قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)(١).

فالآيات الكريمات تضمنت ذكرَ بعض انحرافات الجاهلية في جانب الله، منها:

أ- أنهم جعلوا لله جزءا من خلقه، وهو سبحانه وتعالى خالق كل شيء، وقد تعددت الإشارة إلى هذا المعنى في القرآن الكريم، قال تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ)(٢)، وقال تعالى:(وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ)(٣)، وقال تعالى: (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى)(٤) قال ابن كثير: هذا ذم وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بدعًا وكفرًا وشركًا، وجعلوا لله جزءًا من خلقه، وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى عما يشركون؛ ولهذا قال تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا

---

(١) سورة الأنعام الآيات (١٣٦-١٤٠).

(٢) سورة النحل الآية رقم (٥٧).

(٣) سورة الزخرف الآية رقم (١٥).

(٤) سورة النجم الآيتان (٢١، ٢٢)، أي: قسمة جائرة.

ذَرَأَ) أي: مما خلق وبرأ (مِنَ الْحَرْثِ) أي: من الزروع والثمار (وَالأنْعَامِ نَصِيبًا) أي: جزءا وقسما، (فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا)[1].

ب- أنهم متناقضون معتدون فيما جعلوه لله - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا – وما جعلوه لآلهتهم، فلعلمهم بن الله غني لا يبالون بما ذهب مما جعلوه لله – فيما زعموا – إلى ما جعلوه لآلهتهم، قال تعالى: (فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير هذه الآية: إن أعداء الله كانوا إذا حرثوا حرثًا، أو كانت لهم ثمرة، جعلوا لله منه جزءًا وللوثن جزءًا، فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه. وإن سقط منه شيء فيما سُمّي للصمد ردوه إلى ما جعلوه للوثن. وإن سبقهم الماء الذي جعلوه للوثن. فسقى شيئا جعلوه لله جعلوا ذلك للوثن. وإن سقط شيء من الحرث والثمرة الذي جعلوه لله، فاختلط بالذي جعلوه للوثن، قالوا: هذا فقير. و لم يردوه إلى ما جعلوه لله. وإن سبقهم الماء الذي جعلوه لله. فسقى ما سُمّي للوثن تركوه للوثن، وكانوا يحرمون من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فيجعلونه للأوثان، ويزعمون أنهم يحرمونه لله، فقال الله عز وجل (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأنْعَامِ نَصِيبًا)[2].

ج- قتلهم لأبنائهم وانعدام الرحمة من قلوبهم؛ وكل ذلك من تزيين الشيطان لهم وتصرفه – والعياذ بالله – في عقولهم، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ)، وقد ذكر الله تعالى جريمة قتل الأبناء في مواضع في كتابه، وأشار القرآن الكريم في بعض المواضع إلى العلة، ومن تلك المواضع قوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)[3]، (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ)[4]، وقال تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/١٨٠).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢/١٨٠).

(٣) سورة الأنعام الآية رقم (١٥١).

(٤) سورة الإسراء الآية رقم (٣١).

يَحْكُمُونَ)[١]، وفي سورة التكوير شنع الله عز وجل على الذين يفعلون هذه الفعلة المقيتة بصورة مؤثرة تتمثل في سؤال الولد المقتول يوم العرض الأكبر عما فعل به؛ وما سببه؟، قال تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ () بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)[٢]، قال ابن كثير: فيوم القيامة تسأل الموءودة على أي ذنب قتلت، ليكون ذلك تهديدا لقاتلها، فإذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا؟![٣].

وأسباب الوأد هي كالآتي:

١- للجوع فكانوا يئدونهم لأنهم لا يجدون ما يطعمونهم إياه، فكانت إجابة الله سبحانه في القرآن الكريم عليهم بأنه هو المتكفل برزق الآباء والأبناء كما في آية سورة الأنعام.

٢- خشية الجوع فيقومون بوأدهم لتوقع المجاعة والإملاق، فرد الله عليهم أيضا بأنه رازق الجميع، ولكن قدم - في آية الإسراء - الأبناء على الآباء للاهتمام بالأبناء، قال ابن كثير رحمه الله: (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ) ، أي: خشية حصول فقر، في الآجل؛ ولهذا قال هناك: (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ)، فبدأ برزقهم للاهتمام بهم، أي: لا تخافوا من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله. وأما في هذه الآية[٤] فلما كان الفقر حاصلا قال: (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)؛ لأنه الأهم هاهنا، والله أعلم)[٥].

٣- قتل البنات خشية العار – مع قتلهم للسببين السابقين- ولذلك كان الوأد في البنات أكثر[٦]، فكان السؤال عن البنات يوم القيامة لكثرة ما يقع فيهن من القتل، كما قال الله تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ () بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ).

---

(١) سورة النحل الآيتان (٥٨، ٥٩).

(٢) سورة التكوير (٨، ٩).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٤/٤٧٨).

(٤) يعني آية سورة الأنعام.

(٥) انظر تفسير ابن كثير(٢/١٨٩).

(٦) ومن العجب العجاب أن أكثر القرابين التي يقدمها الوثنيون لآلهتهم – قديما وحديثا – هم من البنات، وما أدري ما السبب إلا أن يكون منشأ هذا الاستخفاف بأمر البنات، أو لأنهم أشبه بالملائكة، لأن بعض الكفار زعموا أن الملائكة بنات الله.

٤- الخوف من الاسترقاق والسبي، والمرأة ضعيفة لا تستطيع القتال والدفاع عن نفسها، وربما كانت شؤما على أهلها وقبيلتها[١]، فلما جاء الإسلام كان من أولى اهتماماته النهي عن الوأد لجميع الأسباب، ثم خص الله هذه الحادثة المقيتة بالسؤال في يوم القيامة: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ () بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ).

د- التحليل والتحريم حسب أهوائهم وشهواتهم، قال تعالى: (وَقَالُوا هَـذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ() وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ).

ووقع منهم العدوان في مواضيع كثيرة منها: تحليلهم الربا بنوعيه[٢]، والخمر والميسر[٣] والأنصاب[٤] والأزلام[٥]، والنسء للأشهر[٦]، وغير ذلك كثير، وقد رد القرآن القرآن الكريم على شبههم كلها.

**المثال الثاني: الوقائع والحوادث[٧]:**

(١) ويحكي الإخباريون أن سبب وأد البنات كان منتشرا في بعض القبائل؛ لأن بعض النساء سبين فاخترن من سباهن على أبائهن فكان الوأد. انظر الوافي بالوفيات للصفدي (٢١٥/٢٤)

(٢) ربا الفضل وربا النسيئة.

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما الميسر هو القمار، كانوا يتقامرون في الجاهلية إلى مجيء الإسلام، فنهاهم الله عن هذه الأخلاق القبيحة. انظر تفسير ابن كثير (٩٢/٢).

(٤) قال الطبري رحمه الله: الأوثان من الحجارة، جماعة أنصاب كانت تجمع في الموضع من الأرض، فكان المشركون المشركون يقرِّبون لها، وليست بأصنام. انظر تفسير الطبري (٧٥/٦).

(٥)قال ابن كثير: هي عبارة عن قداح ثلاثة، على أحدها مكتوب: "افعل" وعلى الآخر: "لا تفعل" والثالث "غُفْل ليس عليه شيء. ومن الناس من قال: مكتوب على الواحد: "أمرني ربي" وعلى الآخر: "نهاني ربي". والثالث غفل ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطلع السهم الآمر فعله، أو الناهي تركه، وإن طلع الفارغ أعاد الاستقسام. انظر تفسير ابن كثير (١٢/٢).

(٦) النسء في الأشهر؛ هو النسيء الذي ذكره الله عنهم حيث كانوا يضعون شهر حلالا بدل شهر حرام؛ فيكون الشهر الحرام حلالا، والشهر الحلال حراما. انظر تفسير ابن كثير (٣٥٧/٢).

(٧) لم أذكر الآيات للاختصار، واكتفيت بالإشارة إلى السورة.

لقد أفرد الكتاب العزيز - لذكر الوقائع والأحداث التي عايشها النبي صلى الله عليه وسلم – مكانا كبيرا حيث تحدث عن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في سورة العلق والمدثر والمزمل وغيرها من السور، وعن الإسراء والمعراج في سورة الإسراء، وتحدث عن بعض الغزوات بالتفصيل، فأفرد لذكر أول غزوة سورة كاملة، وهي سورة الأنفال؛ كلها تقريبا في غزوة بدر الكبرى، كما سميت سورة الأحزاب باسم الغزوة، وفي سورة آل عمران كان الحديث موسعا عن غزوة أحد، وسورة الحشر ذكر الله فيها غزوة بني النضير، حتى سميت بسورة بني النظير، وذكر الله في سورة الفتح صلح الحديبية، وبشر المؤمنين بغنائم خيبر، وذكر الله غزوة حنين في سورة التوبة، كما تضمنت سورة التوبة – أيضا – الحديث عن غزوة تبوك بالتفصيل، وتسمى غزوة العسرة، وفي سورة النور تعرض القرآن الكريم لذكر حادثة الإفك؛ وهي من الحوادث العظيمة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها تعرض المنافقون – لعنهم الله – لعرض النبي صلى الله عليه وسلم، فرموا زوجه عائشة رضي الله عنها بالسوء، فكانت براءها من الله سبحانه وتعالى.

وبقراءة الخطيب والإمام واطلاعهما على هذه الوقائع والحوادث - وأخذ الدروس والعبر منها - تتكون لديهما القدرة على التوجيه وإعطاء المعلومات النافعة المستقاة من هدي النبي الكريم ومن سير أصحابه رضي الله عنهم.

**المثال الثالث: الإجابة على الأسئلة.**

وكانت الأسئلة ترد على النبي صلى الله عليه وسلم من المشركين مباشرة أو بإيعاز من أهل الكتاب، أو تأتيه من أهل الكتاب خاصة بعد ما جاورهم في المدينة، كما يسأله المؤمنون عن بعض الأمور التي تشكل عليهم.

وكانت الإجابة تأتي وحيا من الله؛ إما قرآنا، وإما سنة، وقد تكون الإجابة باجتهاد من النبي صلى الله عليه وسلم فيؤيده الوحي في القرآن الكريم، أو يقره أو يوجهه للصواب، وكانت الإجابات - المتفرقة والمتباعدة - من الأدلة الكبيرة على حكمة نزول القرآن الكريم منجما، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)[1]: يقول تعالى مخبراً عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم،

(١) سورة الفرقان الآية رقم (٣٣).

وكلامهم فيما لا يعنيهم، حيث قالوا: ( لَوْلا نزلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً )[١] أي: هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحي إليه جملة واحدة، كما نزلت الكتب قبله، كالتوراة والإنجيل والزبور، وغيرها من الكتب الإلهية. فأجابهم الله عن ذلك بأنه إنما أنزل منجما في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث، وما يحتاج إليه من الأحكام لتثبيت قلوب المؤمنين به[٢].

وأعرض أنواعا من الأسئلة التي واجهها النبي صلى الله عليه وسلم من جميع الفئات التي عايشها في مكة والمدينة:

١ - أسئلة أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين نزل القرآن بين أظهرهم - المسلمين منهم والمشركين - وسواء كان السؤال مصدره أهل الكتاب كما في بعض أسئلة المشركين، أو كان مصدر السؤال من المؤمنين للعلم والمعرفة.

ولقد كانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم أقل الأمم أسئلة واختلافا على نبيها عليه الصلاة والسلام ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كان قوم أقل سؤالاً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم سألوا عن أربعة عشر حرفاً فأجيبوا[٣].

وأقول[٤]: ثمانية منها في سورة البقرة أولها: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)[٥]: هذه الآية ثم الستة الباقية بعد في سورة البقرة، فالمجموع ثمانية في هذه السورة والتاسع: قوله تعالى في سورة المائدة : (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ)[٦]،والعاشر : في سورة الأنفال (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنفال)[٧]، والحادي عشر : في بني إسرائيل (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الروح)[٨]،

---

(١) سورة الفرقان الآية رقم (٣٢).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣/٣١٨).

(٣) بهذا اللفظ ذكره الرازي في تفسيره (٥/١٠٢)

(٤) القائل هو الرازي في تفسيره.

(٥) الآية رقم (١٨٦)

(٦) الآية رقم (٤).

(٧) الآية رقم (١).

(٨) الآية رقم (٨٥).

والثاني عشر : في الكهف (وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِى القرنين)[١]، والثالث عشر : في طه (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الجبال)[٢]، والرابع عشر : في النازعات (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الساعة)[٣].

وقد كانت للمشركين طلبات تعجيزية ذكرها الله في سورة الإسراء، وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم حقيقة أمره عليه الصلاة والسلام؛ وهو أنه بشر رسول، قال تعالى: (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا () أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا () أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا () أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا)[٤]، وكانت هذه الطلبات في مجلس اجتمعوا فيه لمناقشة النبي صلى الله عليه وسلم، وانتهى بهذه الطلبات التعجيزية – حسب ظنهم – ولذلك لم يجابوا إلى شيء مما طلبوه، قال ابن كثير رحمه الله: وهذا المجلس الذي اجتمع هؤلاء له، لو علم الله منهم أنهم يسألون ذلك استرشادًا لأجيبوا إليه، ولكن علم أنهم إنما يطلبون ذلك كفرًا وعنادًا[٥].

وفي تمكن الخطيب والإمام علميا؛ وبمعرفته بالآيات والأحاديث التي قارع فيها النبي صلى الله عليه وسلم المخاطبين - في عهده بالحجج الواضحة والصبر على ما ناله من تعنتهم وكيدهم – ما يعطيهما –أعني الخطيب والإمام – القوة والصبر في بيان الحق وإيصال الدين الصحيح والتوجه السليم إلى المخاطبين من المسلمين.

٢- لقد كانت لليهود أسئلتهم التعنتيه التي رد عليها القرآن الكريم وبين فسادها، قال تعالى: (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا)[٦]، قال ابن كثير: وهذا إنما

---

(١) الآية رقم (٨٣).

(٢) الآية رقم (١٠٥).

(٣) الآية رقم (٤٢). انظر تفسير الرازي (١٠٢/٥)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (٥٣/٤).

(٤) سورة الإسراء الآيات (٩٠–٩٣).

(٥) انظر تفسير ابن كثير (٦٤/٣).

(٦) سورة النساء الآية (١٥٣).

قالوه على سبيل التعنت والعناد والكفر والإلحاد، كما سأل كفارُ قريش قبلهم نظير ذلك، كما هو مذكور في سورة "سبحان": (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا)[١]، كما سألوا نبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بقربان تأكله النار، وقد رد الله عليهم في كتابه أوفى رد، قال تعالى: (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[٢].

ومن أسئلة أهل الكتاب - التي حاولوا أن يضللوا بها المشركين، وأمروهم أن يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عنها-؛ السؤال عن الروح، والسؤال عن أصحاب الكهف، وعن موسى عليه السلام والخضر، والسؤال عن ذي القرنين، وفي كل ما سألوا أجابهم القرآن الكريم خير جواب، وبين الله لهم أحسن بيان، ورد على جميع الشبه بالأدلة القاطعة والبراهين الدامغة.

ومن أسئلة أهل الكتاب في السنة ما جاء عن ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَجَاءَ حَبْرٌ[٣] مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ. فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا فَقَالَ لِمَ تَدْفَعُنِي فَقُلْتُ أَلاَ تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِى سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ: رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟ قَالَ أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ فَنَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِعُودٍ مَعَهُ. فَقَالَ: سَلْ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم-: هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ، قَالَ فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ)،قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ، قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا،

---

(١) الآية رقم (٩٠)، انظر تفسير ابن كثير (١٨٨/١).

(٢) سورة آل عمران الآية رقم (١٨٣).

(٣) الحبر؛ العالم من علماء اليهود. انظر لسان العرب (١٥٧/٤).

قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ إِلاَّ نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلاَنِ، قَالَ: يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟ قَالَ أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ؟ قَالَ: مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلاَ مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا عَلاَ مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللَّهِ، قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَانِيَ اللَّهُ بِهِ[١].

ففي الحديث دليل على تواضع النبي صلى الله عليه وسلم وعدم كتم العلم حتى على بعض المتعنتين مثل هذا الحبر، وفيه دليل على أن الله يوحي إلى نبيه غير القرآن الكريم؛ كما علمه الإجابة على هذا الحبر في أسئلته العجيبة.

وحري بطالب العلم – وأخص الخطيب والإمام – أن يكون لديه من العلم والمعرفة ما يجيب على أسئلة المأمومين وأهل حيه، وإذا لم يكن يعرف الإجابة يكون لديه المقدرة في البحث أو الاتصال بالشيوخ وسؤالهم، ونقل الإجابة للسائلين؛ لأن قيام الخطيب والإمام بالإجابة على أسئلة السائلين إشباع لرغباتهم الدينية، وبيان للحق الذي يجب أن يكونوا عليه، بخلاف ما لو لم يعرفوا الحق فيما اشتبه عليهم فإن الخلل يكون ثم، والانحراف الفكري والزلل يحل بينهم، فتتفرق الأهواء وتتنافر القلوب.

**المثال الرابع: عموم رسالته عليه الصلاة والسلام إلى الثقلين:**

لقد جاء في القرآن الكريم الدليل على عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم في آيات عدة منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٢]، قال ابن كثير رحمه الله: قول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) وهذا خطاب للأحمر

---

(١) رواه مسلم كتاب: الحيض، برقم (٣١٥). انظر صحيح مسلم (٢٥٢/١).

(٢) سورة الأعراف الآية رقم (١٥٨).

والأسود[١]، والعربي والعجمي، (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) أي: جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة)[٢].

ومن الأدلة على عموم رسالته عليه الصلاة والسلام قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ)[٣].

ومن الأدلة قوله سبحانه وتعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)[٤]، قال ابن كثير: يخبر تعالى أن الله جَعَل محمدًا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلّهم، فمن قَبِل هذه الرحمةَ وشكَر هذه النعمةَ، سَعد في الدنيا والآخرة، ومن رَدّها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة[٥].

والأدلة من القرآن الكريم كثيرة، وسأذكر دليلا واحدا من السنة، عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِىَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِى؛ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِىَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِى أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِىَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِى ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِىُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً)[٦]، الشاهد في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام: (وَكَانَ النَّبِىُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً)، وفي رواية (وأرسلت إلى الخلق كافة)[٧].

وفي معرفة الأدلة على عموم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم قوة للإمام والخطيب في خطبهما ومواعظهما، وحري بهما أن يكون على اطلاع بكتابات الأئمة في عموم الرسالة الخاتمة والنبي الخاتم عليه الصلاة والسلام حتى يتمكنا من دفع الشبه التي يبثها أهل الكفر

---

(١) أي العَجم والعَرب لأنّ الغالب على ألْوان العَجم الحُمْرة والبياض وقيل أراد الجنّ والإنس. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤٣٧/١).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢٥٥/٢).

(٣) سورة الأنعام الآية رقم (١٩).

(٤) سورة الأنبياء الآية رقم (١٠٧).

(٥) انظر تفسير ابن كثير (٢٠٢/٣).

(٦) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: التيمم، باب: ١. انظر صحيح البخاري (١٢٨/١)، ورواه مسلم كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٥٢١). انظر صحيح مسلم (٣٧٠/١).

(٧) رواه مسلم كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٥٢٣). انظر صحيح مسلم (٣٧١/١).

والإلحاد، وحتى تكون لديهما المقدرة في غرس عظمة هذا الدين في قلوب المؤمنين، ويبينان أنه الدين الناسخ لجميع الأديان بالأدلة والبراهين.

## المطلب الخامس: معالجة النبي صلى الله عليه وسلم لبعض القضايا الفكرية التي تخل بالأمن:

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسوس الصحابة بكتاب الله وبتعاليمه المفسرة لكلام الله سبحانه وتعالى، وبأفعاله وتقريراته، وكان عليه الصلاة والسلام - مع ما أعطاه الله من حلم ورأفة ورحمة – ربما غضب لظهور انحراف فكري يقود لعمل يضر بالإسلام وأهله، فربما خطب وبين من غير تحديد للقائلين، وربما نفى الحرج والتضييق في الدين، وأحيانا يبين ضرر التشدد والطريق الذي يصل إليه المتشددون، وهذه بعض الأمثلة على هذه النقطة العظيمة:

**المثال الأول:** تأثر الصحابة رضي الله عنهم - بآيات الله تعالى، وبحياتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم – كثيرا حتى إن بعضهم - من شدة احتقارهم لأعمالهم وشعورهم بالتقصير- أرادوا التبتل والانقطاع ومواصلة الصيام وتحريم بعض ما أباح الله، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضى الله عنه يَقُولُ جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّى أُصَلِّى اللَّيْلَ أَبَدً، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّى لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّى أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّى وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِى فَلَيْسَ مِنِّى)(١)، قال ابن حجر رحمه الله: الْمُرَاد بِالسُّنَّةِ الطَّرِيقَة لَا الَّتِي تُقَابِل الْفَرْض ، وَالرَّغْبَة عَنْ الشَّيْء الْإِعْرَاض عَنْهُ إِلَى غَيْره ، وَالْمُرَاد مَنْ تَرَكَ طَرِيقَتِي وَأَخَذَ بِطَرِيقَةِ غَيْرِي فَلَيْسَ مِنِّي ، وَلَمَّحَ بِذَلِكَ إِلَى طَرِيق الرَّهْبَانِيَّة فَإِنَّهُمْ

---

(١) متفق عليه. متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح. انظر صحيح البخاري (١٩٤٩/٥)، ورواه مسلم كتاب: النكاح، برقم (١٤٠١). انظر صحيح مسلم (١٠٢٠/٢).

الَّذِينَ اِبْتَدَعُوا التَّشْدِيد كَمَا وَصَفَهُمْ اللَّه تَعَالَى وَقَدْ عَابَهُمْ بِأَنَّهُمْ مَا وَفُّوهُ بِمَا اِلْتَزَمُوهُ ، وَطَرِيقَة النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَنِيفِيَّة السَّمْحَة فَيُفْطِر لِيَتَقَوَّى عَلَى الصَّوْم وَيَنَام لِيَتَقَوَّى عَلَى الْقِيَام وَيَتَزَوَّج لِكَسْرِ الشَّهْوَة وَإِعْفَاف النَّفْس وَتَكْثِير النَّسْل، وَقَوْله فَلَيْسَ مِنِّي إِنْ كَانَتْ الرَّغْبَة بِضَرْبٍ مِنْ التَّأْوِيل يُعْذَر صَاحِبه فِيهِ فَمَعْنَى " فَلَيْسَ مِنِّي " أَيْ عَلَى طَرِيقَتِي وَلَا يَلْزَم أَنْ يَخْرُج عَنْ الْمِلَّة وَإِنْ كَانَ إِعْرَاضًا وَتَنَطُّعًا يُفْضِي إِلَى اِعْتِقَاد أَرْجَحِيَّة عَمَله فَمَعْنَى فَلَيْسَ مِنِّي لَيْسَ عَلَى مِلَّتِي لِأَنَّ اِعْتِقَاد ذَلِكَ نَوْع مِنْ الْكُفْر[١].

**المثال الثاني:** رأى بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه يمكن أن يتقربوا إلى الله بأحسن مما رخص فيه النبي صلى الله عليه وسلم مما فيه حكمة لا يعلموها أو مصلحة قد لا يطلع عليها الكثيرون، فخطب النبي صلى الله عليه وسلم، ووجه الخطاب إلى غير مُعَيَّنين، فعن عَائِشَةُ رضي الله عنها قالت: صَنَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّى لأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً)[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: وَفِي الْحَدِيث الْحَثّ عَلَى الِاقْتِدَاء بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَمّ التَّعَمُّق وَالتَّنَزُّه عَنْ الْمُبَاح ، وَحُسْن الْعِشْرَة عِنْدَ الْمَوْعِظَة ، وَالْإِنْكَار وَالتَّلَطُّف فِي ذَلِكَ ، وَلَمْ أَعْرِف أَعْيَان الْقَوْم الْمُشَار إِلَيْهِمْ فِي هَذَا الْحَدِيث ، وَلَا الشَّيْء الَّذِي تَرَخَّصَ فِيهِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٣].

أقول: وكون النبي صلى الله عليه لم يعينهم هذا غاية الترفق في النصيحة والتوجيه، وفيه من البعد عن الفضيحة أدب كبير لكل واعظ أو خطيب، ثم هؤلاء أرادوا لأعمالهم – مع تشددهم لطلب رضا الله – الستر فكان لهم ذلك، والمنفعة كانت في التوجيه والإرشاد وقد كانت.

**المثال الثالث:** استأذن عثمان بن مظعون رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم أن يختصي حتى لا تكون له حاجة إلى النساء، فيكون ذلك أدعى للتبتل ولانصراف إلى

---

(١) انظر فتح الباري (٩/١٠٥، ١٠٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الأدب، باب: من لم يُوَاجِهْ الناس بِالْعِتَابِ. انظر صحيح البخاري (٥/٢٢٦٣).

(٣) واعتذر ابن حجر رحمه الله تعالى عن معرفة الشيء الذي ترخص فيه النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه أورد بعض الأحاديث التي قد تدل على ما ترخص فيه. انظر فتح الباري (١٠/٥١٤).

العبادة، وكاد أن يفتتن برأيه بعض الصحابة رضي الله عنهم، فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال بعد ذلك سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لاَخْتَصَيْنَا[1])[2]، قال ابن حجر رحمه الله: وَالْحِكْمَة فِي مَنْعهمْ مِنْ الِاخْتِصَاء إِرَادَة تَكْثِير النَّسْل لِيَسْتَمِرّ جِهَاد الْكُفَّار ، وَإِلَّا لَوْ أَذِنَ فِي ذَلِكَ لَأَوْشَكَ تَوَارُدهمْ عَلَيْهِ فَيَنْقَطِع النَّسْل فَيَقِلّ الْمُسْلِمُونَ بِانْقِطَاعِهِ وَيَكْثُر الْكُفَّار ، فَهُوَ خِلَاف الْمَقْصُود مِنْ الْبَعْثَة الْمُحَمَّدِيَّة[3]، وقال النووي رحمه الله: وَهَذَا مَحْمُول عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَظُنُّونَ جَوَاز الِاخْتِصَاء بِاجْتِهَادِهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ ظَنّهمْ هَذَا مُوَافِقًا ، فَإِنَّ الِاخْتِصَاء فِي الْآدَمِيّ حَرَام صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا[4].

**المثال الرابع:** كان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يضرب الأمثال التي يظهر من خلالها التوجيه الذي يريده واضحا جليا، وهذا لا يخفى أنه نوع بديع من أنواع التعليم، ومن الأمثلة العظيمة قوله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا)[5]، فبين صلى الله عليه وسلم أن منشأ الخلل قد يكون فكرة صالحة يراعى فيها إرادة الخير فيما يظهر، لكنها تكون مهلكة عند تطبيقها ذا لم يتم تلافي ذلك من أهل الخير والصلاح والعلماء الربانيين.

وفي كتاب الله الكريم أمثلة كثيرة على الانحرافات الفكرية مثل التنطع في الطلبات والأسئلة المعجزة، والتكذيب بالدلائل الواضحات، وبأحوال الأمم المشهورة بينهم، وتشريع أحكام في العبادات والمعاملات والأخلاق ما أنزل الله بها من سلطان.

---

(١) الاختصاء: سل الخصيتين. انظر لسان العرب لانب منظور (٢٢٣/٦).

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب النكاح، باب: ما يُكْرَهُ من التَّبَتُّلِ وَالْخِصَاءِ . انظر صحيح البخاري (١٩٥٢/٥)، ورواه مسلم كتاب: النكاح، برقم (١٤٠٢). انظر صحيح مسلم (١٠٢٠).

(٣)انظر فتح الباري (١١٨/٩).

(٤) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٧٧/٩).

(٥) رواه البخاري كتاب: الشركة، باب: هل يُقْرَعُ في الْقِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فيه. انظر صحيح البخاري (٨٨٢/٢)

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن المعاصي والفتن لا تقع إلا بعد انحرافات فكرية واستساغة قلبية لها، كما مر معنا في المثال الرابع، قال صلى الله عليه وسلم: (تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَىُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا[1] نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ[2] سَوْدَاءُ وَأَىُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا[3] نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا[4] كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا[5] لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ)[6].

**المبحث الثاني: الأبعاد الأمنية والفكرية في مواعظ الخطيب والإمام وتوجيهاتهما، وفيه مطالب:**

تتلازم الجوانب الأمنية والاستقامة في الأفكار والمعتقدات في تنعم المجتمعات بالسعادة والنماء، والرقي والرخاء.

وبدراسة المجتمعات السابقة والحاضرة نجد أن المجتمعات تكون أكثر راحة واطمئنانا عندما تكون قريبة من منهج الله؛ تؤمن بالله وتطبق أحكامه وشرعه، وتكون في شقاء، وفي جهل وضلال، كلما بعدت عن منهج الله، وأطلقت لنفسها العنان في مهاوي الشبهات، ومسارح الشهوات.

وفي حضارات الأمم البائدة والشاهدة خير دليل على ذلك، فقد حكى الله لنا أن أمما عاشت أحسن عيشة وأرغدها، ومكن الله لها، فعمرت وزرعت وملكت، وبلت في العلم مبلغا كبيرا، فلما عصت الله أصابها الله بعقوبة من عنده، قال تعالى: (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ

---

(1) أي: دَخَلَتْ فِيهِ دُخُولًا تَامًّا وَأُلْزِمَهَا وَحَلَّتْ مِنْهُ مَحَلّ الشَّرَاب . وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى : (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبهمْ الْعِجْل) أَيْ حُبّ الْعِجْل. انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٢/١٧٢).

(2) كُلُّ نَقْط في شيء خالف لَوْنَه نَكْتٌ. انظر لسان العرب لابن منظور (٢/١٠١).

(3) رفضها ولم يقبلها.

(4) من ارْبَدَّ وارْبادَّ . ويريد ارْبِدادَ القلب من حيث المعنى لا الصور فإن لَوْن القلب إلى السَّواد. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢/١٨٣).

(5) الكوز إناء بعروة يشرب به الماء. انظر المعجم الوسيط (٢/٨٠٤)، والمجَخِّي : المائل عن الاستقامة والاعتدال فشَبَّه القَلْب الذي لا يَعِي خَيْراً بالكُوز المائل الذي لا يَثْبُت فيه شيء. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/٢٤٢).

(6) رواه مسلم كتاب: الإيمان، برقم (١٤٤).نظر صحيح مسلم (١/١٢٩).

فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[١].

## المطلب الأول: إبراز أثر الانحرافات الفكرية في المجتمع، وأنها إخلال بالأمن، وسبب للعقوبات:

يعد الأمن الفكري من أهم أنواع الأمن الذي عني المصلحون، ورجال الأمن بدراسته وبيان مكانته.

ويسعى العقلاء سعيا حثيثا، وتقام الدراسات تلو الدراسات من أجل أن يكون الفكر نقيا بعيدا عن التطرف والانحرافات التي تغير مسار الأمة، وتقودها إلى مهاوي الردى، وتجلب للمجتمعات الويلات والكوارث.

وبما أن الإمام والخطيب أكثر المصلحين وأقربهم من جميع شرائح المجتمع – حيث يلتقون بهم في الصلوات الخمس والجمع والأعياد، ويأتي الجميع مستعدا لسماع ما يقولان - كان لزاما عليهما أن يكونا أكثر شعورا بأهمية الأمن الفكري وبمكانته في حياة الأمة وسعادتها.

ومنذ فجر الرسالة الخالدة جاءت آيات القرآن الكريم تبين الآثار السلبية للانحرافات الفكرية على المجتمعات الإنسانية، فما من معصية أدت إلى عقوبة إلا بسبب انحراف فكري؛ فآدم عليه السلام أخرج من الجنة بسبب انحراف فكري وهو استجابته لوسوسة الشيطان لعنه الله، وما طرد الله إبليس اللئيم – قبل ذلك – إلا لحسده وتعاليه على أمر الله، ثم تتابعت الأمم كما حكى الله لنا، وتتابعت الانحرافات الفكرية التي نشأت عنها معاصي اعتقادية أكبرها الإشراك بالله، ومعاصي عملية في جوانب العبادات، والمعاملات، والأخلاق، وكان من أكبر ما قاد إليها الكبر والحسد، وانحراف الفطرة البشرية.

وكلما انحرف قوم أرسل الله لهم رسولا منهم اصطفاه وأيده بمعجزة من المعجزات ليبين لهم الصراط المستقيم ويقيم عليهم الحجة بتبليغ دين الله إليهم، وكانت تنتهي جميع الرسالات بنصر الله لرسله وعباده المؤمنين، وتقع العقوبة والعذاب على المكذبين، قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى

---

(١) سورة العنكبوت الآية رقم (٤٠).

اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)[1]، قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: ولقد بعثنا أيها الناس في كلّ أمة سلفت قبلكم رسولا كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة( وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ) يقول: وابعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدّكم عن سبيل الله، فتضلوا، ( فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ ) يقول: فممن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله، فوفّقه لتصديق رسله ، والقبول منها ، والإيمان بالله ، والعمل بطاعته، ففاز وأفلح ، ونجا من عذاب الله، ( وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ ) يقول: وممن بعثنا رسلنا إليه من الأمم آخرون حقّت عليهم الضلالة، فجاروا عن قصد السبيل، فكفروا بالله وكذّبوا رسله ، واتبعوا الطاغوت، فأهلكهم الله بعقابه ، وأنزل عليهم بأسه الذي لا يردّ عن القوم المجرمين[2].

وقال تعالى: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ)[3]، قال ابن كثير رحمه الله: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى): قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني يتبع بعضهم بعضًا، وهذه كقوله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ)[4]، وقوله: (كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ) يعني: جمهورهم وأكثرهم، كقوله تعالى:(يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)[5]، وقوله: (فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا) أي: أهلكناهم، كقوله : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ)[6]، (وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) أي: أخبارًا وأحاديث للناس، كقوله: (فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ)، (فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ)[7].

---

(١) سورة النحل الآية رقم (٣٦).

(٢) انظر تفسير الطبري (١٠٣/١٤).

(٣) سورة المؤمنون الآية رقم (٤٤).

(٤) سورة النحل تقدمت قريبا.

(٥) سورة يس الآية رقم (٣٠).

(٦) سورة الإسراء الآية رقم (١٧).

(٧) انظر تفسير ابن كثير (٢٤٦/٣).

وأستطيع أن أجزم أن القرآن جميعه جاء لتصحيح الفكر، وسياسة الناس بالطريقة التي يسعدون بها في الدارين، حيث كان بيانُ العقائد في القرآن الكريم لتصحيح الانحرافات الشركية، وكيما يكون المعبود الحق هو الخالق الذي بيده كل شيء، وما مجيء القصص عن الأمم السابقة إلا لبيان شؤم المعاصي وما يترتب عليها، وما الأمر بالعبادات؛ إلا لتزكو النفوس، وتتطهر بقربها من ربها عز وجل، وما الحث على إصلاح المعاملات في البيوع والعلاقة بالآخرين إلا ليبقى الناس بعيدين عن الغش والخداع والغبن، وما الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة في القرآن الكريم إلا ليعم الأمن والرخاء والسعادة بين بني البشر، قال تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[1]، وقال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا () وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)[2]، وقال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ () صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ)[3]، وقال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[4]، فهذه الآيات وغيرها كثير تدل على أن القرآن الكريم بجميع ما تعرض له في دلالاته نصا أو إشارة كتاب إصلاح وهداية وحُكم وإرشاد.

وقد كانت الآيات تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم تصحح ما يقع من أخطاء، وتحمل في ثناياها التوجيهات المثلى، ففيها الأوامر النافعة والنواهي الزاجرة والأحكام العادلة.

ومع ما يقوم به النبي صلى الله عليه وسلم من بيان للوحي القرآني، كان صلى الله عليه وسلم يقوم بتوجيهاته الأخرى عن وحي من نوع آخر غير وحي القرآن الكريم، أو

---

(١) سورة الأنعام الآية رقم (١٥٣).

(٢) سورة الإسراء الآيتان رقم (٩، ١٠).

(٣) سورة الشورى الآيتان رقم (٥٢، ٥٣).

(٤) سورة يوسف عليه السلام (١١١).

اجتهاد يؤيده الوحي أو يصححه، قال تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى () إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)[١]، فكل ما يقوله صلى الله عليه وسلم على سبيل التبليغ وإقامة الحجة فهو وحي، قال صلى الله عليه وسلم: (أَلاَ إِنِّى أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ أَلاَ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الأَهْلِىِّ وَلاَ كُلُّ ذِى نَابٍ مِنَ السَّبُعِ وَلاَ لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ إِلاَّ أَنْ يَسْتَغْنِىَ عَنْهَا صَاحِبُهَا وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ[٢] بِمِثْلِ قِرَاهُ)[٣].

**المطلب الثاني: متابعة الانحرافات الأمنية والفكرية في المجتمع، ووضع الحلول لها.**

كلنا يعلم أن ضلالات الجاهلية أعظم من أخطاء العصاة من المسلمين، فقد كان الناس في الجاهلية يعيشون - كما ذكر الله في أكثر من موضع – في ضلال مبين، قال تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[٤]، وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[٥]، قال ابن كثير رحمه الله: (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) يعني: القرآن (وَيُزَكِّيهِمْ) أي: يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكُوَ نفوسهم وتطهر من الدَّنَسِ والخَبَث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم (وَيُعَلِّمُهُمُ

---

(١) سورة النجم الآيتين (٣، ٤)

(٢) أي يأخذ منهم عِوَضاً عمَّا حرَمُوه من القِرَى . وهذا في المضْطَرّ الذي لا يَجدُ طعاماً ويخاف على نفسه التَّلَفَ، يقال : عَقَّبهم مُشَدّدا ومخففًا وأعْقَبَهم إذا أخَذَ منهم عُقْبَى وعُقْبَةً وهو أن يأخُذَ منهم بدَلاً عمَّا فاتَه. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/٢٦٩).

(٣) رواه أبو داود في برقم (٤٦٠٤). انظر سنن أبي داود (٤/٢٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٦٤٣).

(٤) سورة آل عمران الآية رقم (١٦٤).

(٥) سورة الجمعة الآية رقم (٢).

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ يعني: القرآن والسنة (وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ) أي: من قبل هـذا الرسول (لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) أي: لفي غَي وجهل ظاهر جليّ بين لكُل أحد[١].

وفي سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ما يدل على انحراف الناس قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم عن دين الله وشرعه، وأنه سبحانه وتعالى بعث النبي صلى الله عليه وسلم للبشرية وهي في أشد الحاجة إليه، فقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوما بأصحابه فقال: (أَلاَ إِنَّ رَبِّى أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا؛ كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ؛ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ... .)الحديث[٢].

ومهمة الإمام والخطيب ووظيفتهما - بين يدي الله - هي حمل الرسالة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهما الوريثان للهدي المبارك والصراط المستقيم، وهما المعبران عن دين الله أمام العامة، قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)[٣].

ولذلك كان لزاما على من مكن الله له - من إمام أو خطيب — حتى أصبح يُقتَدَى به في أفعاله وحركاته - في الصلاة وفي غيرها - أن يكون على جانب كبير من الالتزام والعلم حتى يتمكن من توجيه الناس ودلالتهم على الخير، وحتى يكون أكثر قبولا إذا تحدث وعلم.

ومن أهم واجبات الإمام والخطيب في كل مسجد رعاية المأمومين والعناية بهم، ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم، وتعليمهم الخير، ولنا في النبي صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة، فقد كان صلى الله عليه وسلم يتابع أصحابه متابعة المربي الرءوف الرحيم،

---

(١) انظر تفسير ابن كثير(٤٢٥/١).

(٢) رواه مسلم كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، برقم (٢٨٦٥). انظر صحيح مسلم (٢١٩٧/٤).

(٣) تقدم تخريجه.

ففي الأفراح كان أول المهنئين، وفي الأحزان كان أول المواسين، وفي الشدائد كانوا كلهم دونه، يتصدى للحادثات ويواجهها قبلهم.

فيجب على الخطيب والإمام بذل الجهد في رعاية المجتمع في خطبهما ومواعظهما وتوجيهاتهما، وهذه أهم الأمور التي يتابعانها من أجل إصلاح المجتمع:

**الأمر الأول:** ما يخص عموم المجتمع؛ وذلك بالتركيز على الاتفاق في العقائد والعبادات، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ () مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ)[1]، ولا شك أن توحيد الله يأتي في مقدمة كل ذلك، قال ابن كثير رحمه الله: ومعنى الآية: أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم[2].

ويكون من أكبر اهتمامات – الإمام والخطيب - التركيز على أركان الإسلام الخمسة؛ وقد جاءت آيات القرآن الكريم داعية إليها، وبينها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله، وهي: الشهادتان: ويدخل فيها التعريف بالله سبحانه وتعالى، والتعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم، وما يجب له، وما يجوز في حقه عليه الصلاة والسلام، ويدخل في التعريف بالله أنواع التوحيد، والإيمان وأركانه، والركن الثاني: الصلاة؛ يبينان أحكامها وحِكَمَها وكيفية إقامتها تامة؛ بأركانها، وشروطها، وواجباتها، وسننها، والركن الثالث: الزكاة؛ يبينان معناها، والأموال الزكوية، ونصاب الأموال الزكوية، ومصارف الزكاة، وحكمة الشارع في فرض الزكاة، الركن الرابع: الصيام؛ يبينان مشروعيته، وأحكامه، والحكمة من الأمر به، والثواب عليه، والركن الخامس: الحج، يبينان معناه، وحُكْمَه، ومتى يجب وعلى من يجب، وما يترتب على أدائه، ولو استطاعا تطبيق الحج فعليا أمام بعض المصلين لكان حسنا، ففي الصلاة قال صلى الله عليه وسلم: (وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي

---

(١) سورة الذاريات الآيتان (٥٦، ٥٧).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢٣٩/٤).

أُصَلِّى)[١]، وقال عليه الصلاة والسلام في الحج: (لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لاَ أَدْرِى لَعَلِّى لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ)[٢]، لأن التطبيق مع القول أعلى وأتم من القول فقط.

كما يركز الإمام والخطيب على التزام القيم الإسلامية بين الجميع في المعاملات والأخلاق، فالمؤمن لا يمكن أن يوصل إلى المؤمنين شيئا من الأذى، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن يتحلى بالأخلاق الفاضلة في أقواله وأفعاله؛ فالصدق والصبر والتواضع والحلم صفات تلازم المؤمن في جميع حياته، والشجاعة والكرم والغيرة صفات ظاهرة بين المؤمنين.

والمؤمن بعيد عن الصفات الذميمة التي تورث العداوة والبغضاء بين المؤمنين، وتؤدي إلى تفكك المجتمع وانحرافه، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بالألْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)[٣]، قال ابن كثير رحمه الله: ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الكِبْر بطر الحق وغَمْص الناس) ويروى: (وغمط الناس)[٤] والمراد من ذلك: احتقارهم واستصغارهم، وهذا حرام، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدرا عند الله وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له[٥]، وقال صلى الله عليه وسلم: (لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا[٦] وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا[٧] وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا، - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الأدب، باب: رَحْمَةِ الناس وَالْبَهَائِمِ. انظر صحيح البخاري (٥/٢٢٣٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الحج، برقم (١٢٩٧). انظر صحيح مسلم (٢/٩٤٣).

(٣) سورة الحجرات الآية رقم (١١).

(٤) رواية وغمص في غير الصحيح، ورواية الصحيح: وغمط، رواه مسلم كتاب: الإيمان،برقم (٩١). انظر صحيح مسلم (١/٩٣).

(٥) انظر تفسير ابن كثير (٤/٢١٣).

(٦) هو أن يَمدَح السِّلعة لِيُنفِقَها ويُرَوِّجَها. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/٢٠)، أقول: يمدحها وهو لا يريد شراءها، بل يريد أن يرفع قيمتها فقط.

(٧) لا تقاطعوا.

مَرَّاتٍ - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَـــرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ).[١].

والمؤمن لا يظن إلا خيرا بالمسلمين، فلا يغتابهم ولا يتجسس علـــيهم ولا يســـعى بالنميمة بينهم، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْـــمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ)[٢]، وقال صلى الله عليه وسلم: (لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ)[٣].
نَمَّامٌ)[٣].

ويجب أن تأخذ الأخوة الإيمانية وواجباتها مساحة واسعة في حديث الخطيب والإمام للمصلين، قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)، وقال صلى الله عليه وسلم: (الْمُسْلِمُ أَخُـــو الْمُسْلِمِ ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِى حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِى حَاجَتِهِ ، وَمَـــنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٤]، قال النووي رحمه الله: فِي هَذَا فَضْل إِعَانَة الْمُسْلِم ، وَتَفْرِيج الْكُـــرَب عَنْهُ ، وَسَتْر زَلَّاته . وَيَدْخُل فِي كَشْف الْكُرْبَة وَتَفْرِيجهَا مَنْ أَزَالَهَا بِمَالِـــهِ أَوْ جَاهِـــهِ أَوْ مُسَاعَدَته ، وَالظَّاهِر أَنَّهُ يَدْخُل فِيهِ مَنْ أَزَالَهَا بِإِشَارَاتِهِ وَرَأْيه وَدَلَالَته . وَأَمَّا السَّتْر الْمَنْدُوب إِلَيْهِ هُنَا فَالْمُرَاد بِهِ السَّتْر عَلَى ذَوِي الْهَيْئَات وَنَحْوهمْ مِمَّنْ لَيْسَ هُـــوَ مَعْرُوفًـــا بِالْـــأَذَى وَالْفَسَاد، فَأَمَّا الْمَعْرُوف بِذَلِكَ فَيُسْتَحَبّ أَلَّا يُسْتَر عَلَيْهِ ، بَلْ تُرْفَع قَضِيَّته إِلَى وَلِيّ الْأَمْر إِنْ لَمْ يَخَفْ مِنْ ذَلِكَ مَفْسَدَة؛ لِأَنَّ السَّتْر عَلَى هَذَا يُطْمِعهُ فِي الْإِيـــذَاء وَالْفَسَـــاد، وَانْتِهَـــاك الْحُرُمَات، وَجَسَارَة غَيْره عَلَى مِثْل فِعْله، هَذَا كُلّه فِي سَتْر مَعْصِيَة وَقَعَتْ وَانْقَضَتْ ، وَأَمَّا

---

(١)متفق عليه وهذا لفظ مسلم، رواه البخاري كتاب: الأدب، باب: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا من الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ولا تَجَسَّسُوا). انظر صحيح البخاري (٥/٢٢٥٣)، ورواه مسلم، كتاب: بـــرقم (٢٥٦٤). انظـــر صحيح مسلم (٤/١٩٨٦).

(٢) سورة الحجرات الآية رقم (١٢).

(٣) متفق عليه وهذا لفظ مسلم وفيه وفي البخاري قتات بدل نمام وهي بنفس المعنى، رواه البخاري كتاب: الأدب، الأدب، باب: ما يُكْرَهُ من النَّمِيمَةِ. انظر صحيح البخاري (٥/٢٢٥٠)، ورواه مسلم كتاب: الإيمان، برقم (١٠٥). انظر صحيح مسلم (١/١٠١).

(٤)متفق عليه، رواه البخاري كتاب: المظالم، باب: لَا يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ ولا يُسْلِمُهُ. انظر صـــحيح البخـــاري (٢/٨٦٢)، ورواه مسلم كتاب: البر والصلة والأدب، برقم (٢٥٨٠). انظر صحيح مسلم (٤/١٩٩٦).

مَعْصِيَة رَآهُ عَلَيْهَا ، وَهُوَ بَعْد مُتَلَبِّس بِهَا، فَتَجِب الْمُبَادَرَة بِإِنْكَارِهَا عَلَيْهِ، وَمَنْعه مِنْهَا عَلَى مَنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يَحِلّ تَأْخِيرهَا، فَإِنْ عَجَزَ لَزِمَهُ رَفْعهَا إِلَى وَلِيّ الْأَمْر إِذَا لَمْ تَتَرَتَّب عَلَى ذَلِكَ مَفْسَدَة، وَأَمَّا جُرْح الرُّوَاة وَالشُّهُود وَالْأُمَنَاء عَلَى الصَّدَقَات وَالْأَوْقَاف وَالْأَيْتَام وَنَحْوهمْ فَيَجِب جُرْحهمْ عِنْد الْحَاجَة، وَلَا يَحِلّ السَّتْر عَلَيْهِمْ إِذَا رَأَى مِنْهُمْ مَا يَقْدَح فِي أَهْلِيَّتهمْ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ الْغِيبَة الْمُحَرَّمَة، بَلْ مِنْ النَّصِيحَة الْوَاجِبَة ، وَهَذَا مُجْمَع عَلَيْهِ، قَالَ الْعُلَمَاء فِي الْقِسْم الْأَوَّل الَّذِي يُسْتَر فِيهِ : هَذَا السَّتْر مَنْدُوب ، فَلَوْ رَفَعَهُ إِلَى السُّلْطَان وَنَحْوه لَمْ يَأْثَم بِالْإِجْمَاعِ، لَكِنْ هَذَا خِلَاف الْأَوْلَى، وَقَدْ يَكُون فِي بَعْض صُوَره مَا هُوَ مَكْرُوه. وَاَللَّه أَعْلَم. انتهى كلامه رحمه الله[1].

كما يحث الخطيب والإمام المسلمين على التعاون على البر والتقوى، والبعد عن التعاون على الإثم والعدوان، قال تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[2]، قال ابن كثير رحمه الله: يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم[3].

كما يقوم الإمام والخطيب ببيان وجوب طاعة ولي الأمر، ووجوب لزوم الجماعة، فقد أمر الله بذلك في كتابه، وورد الأمر بوجوب السمع والطاعة في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[4].

وقد جاء في السنة ما يؤيد هذا المعنى، قال صلى الله عليه وسلم قَالَ: (كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِى، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ، قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ

---

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٣٥).

(٢) سورة المائدة الآية رقم (٢).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٢/٧).

(٤) سورة النساء الآية رقم (٥٩).

عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ)[1]، قال النووي: وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيث: إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَةٍ بَعْد خَلِيفَة فَبَيْعَة الْأَوَّل صَحِيحَة يَجب الْوَفَاء بِهَا، وَبَيْعَة الثَّانِي بَاطِلَة يَحْرُم الْوَفَاء بِهَا، وَيَحْرُم عَلَيْهِ طَلَبهَا، وَسَوَاء عَقَدُوا لِلثَّانِي عَالِمِينَ بِعَقْدِ الْأَوَّل أَوْ جَاهِلِينَ، وَسَوَاء كَانَا فِي بَلَدَيْنِ أَوْ بَلَد، أَوْ أَحَدهمَا فِي بَلَد الْإِمَام الْمُنْفَصِل وَالْآخَر فِي غَيْره، هَذَا هُوَ الصَّوَاب الَّذِي عَلَيْهِ أَصْحَابنَا وَجَمَاهِير الْعُلَمَاء[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: (السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ ، فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ)[3]، وقال صلى الله عليه وسلم : (مَنْ أَطَاعَنِى فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِى ، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِى ، وَإِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا ، وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ)[4]، قال النووي رحمه الله: قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْإِمَام جُنَّة) أَيْ : كَالسِّتْرِ؛ لِأَنَّهُ يَمْنَع الْعَدُوّ مِنْ أَذَى الْمُسْلِمِينَ، وَيَمْنَع النَّاس بَعْضهمْ مِنْ بَعْض، وَيَحْمِي بَيْضَة الْإِسْلَام، وَيَتَّقِيه النَّاس وَيَخَافُونَ سَطْوَته، وَمَعْنَى يُقَاتَل مِنْ وَرَائِهِ أَيْ: يُقَاتَل مَعَهُ الْكُفَّار وَالْبُغَاة وَالْخَوَارِج وَسَائِر أَهْل الْفَسَاد وَالظُّلْم مُطْلَقًا[5].

وقد ورد الوعيد الشديد لمن يفارق الجماعة ويتبع غير سبيل المؤمنين، حتى ولو أصابه ما يكره، قال تعال: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)[6]، قال ابن كثير رحمه الله: أي: ومن

---

(١)متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: الأنبياء، باب: ما ذُكِرَ عن بَنِي إِسْرَائِيلَ. انظر صحيح البخاري (٢/١٢٧٣)، ورواه مسلم كتاب: المارة، برقم (١٨٤٢). انظر صحيح مسلم (٣/١٤٧١).

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٢٣١، ٢٣٢).

(٣) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: الأحكام، باب: السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ ما لم تَكُنْ مَعْصِيَةً. انظر صحيح البخاري (٦/٢٦١٢)، ورواه مسلم كتاب: الإمارة، برقم (١٨٣٩). انظر صحيح مسلم (٣/١٤٦٩).

(٤) متفق عليه؛ وهذا لفظ البخاري، رواه البخاري كتاب:الجهاد والسير، باب: يُقَاتَلُ من وَرَاءِ الْإِمَامِ ويتقى بِهِ. انظر صحيح البخاري (٣/١٠٨٠)، ورواه مسلم مختصرا، كتاب: الإمارة، برقم (١٨٣٥)، وتكملته كما في البخاري برقم (١٨٤١)، انظر صحيح مسلم (٣/١٤٦٦ و١٤٧١).

(٥) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٢٣٠).

(٦) سورة النساء الآية رقم (١١٥).

ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، فصار في شق والشرع في شق، وذلك عن عَمْد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له. وقوله: (وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ) هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة المحمدية، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا، فإنه قد ضُمِنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشريفًا لهم وتعظيما لنبيهم(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ)(٢)، نقل ابن حجر رحمه الله عن القرطبي رحمه الله - في كتابه المفهم – في قوله صلى الله عليه وسلم: (فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ): أَنَّهُ نَعْت لِلتَّارِكِ لِدِينِهِ، لِأَنَّهُ إِذَا اِرْتَدَّ فَارَقَ جَمَاعَة الْمُسْلِمِينَ، غَيْر أَنَّهُ يَلْتَحِق بِهِ كُلُّ مَنْ خَرَجَ عَنْ جَمَاعَة الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ لَمْ يَرْتَدَّ كَمَنْ يَمْتَنِع مِنْ إِقَامَة الْحَدّ عَلَيْهِ إِذَا وَجَبَ وَيُقَاتِل عَلَى ذَلِكَ كَأَهْلِ الْبَغْي وَقُطَّاع الطَّرِيق وَالْمُحَارِبِينَ مِنْ الْخَوَارِج وَغَيْرهمْ، قَالَ : فَيَتَنَاوَلهُمْ لَفْظ الْمُفَارِق لِلْجَمَاعَةِ بِطَرِيقِ الْعُمُوم، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمْ يَصِحّ الْحَصْر لِأَنَّهُ يَلْزَم أَنْ يَنْفِيَ مَنْ ذُكِرَ وَدَمه حَلَال فَلَا يَصِحّ الْحَصْر، وَكَلَام الشَّارِع مُنَزَّه عَنْ ذَلِكَ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ وَصْف الْمُفَارَقَة لِلْجَمَاعَةِ يَعُمّ جَمِيع هَؤُلَاءِ، قَالَ: وَتَحْقِيقه أَنَّ كُلّ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَة تَرَكَ دِينه، غَيْر أَنَّ الْمُرْتَدّ تَرَكَ كُلّه وَالْمُفَارِق بِغَيْرِ رِدَّة تَرَكَ بَعْضه اِنْتَهَى(٣).

ومن الطاعة النصيحة للأئمة بشروطها التي ذكرها العلماء، قال صلى الله عليه وسلم: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)(٤)، ومن ومن النصيحة للأئمة عدم التعرض لهم بالسب والتنقص لا ظاهرا ولا باطنا، وعدم النيل

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٥٥٦/١).

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: الفتن، باب: قَوْلِ النبي صلى الله عليه وسلم: سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا . انظر صحيح البخاري (٢٥٨٨/٦)، ورواه مسلم كتاب: الإمارة، برقم (١٨٤٩). انظر صحيح مسلم (١٤٧٧/٣).

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر (٢٠٢/١٢).

(٤) ذكره البخاري مبوبا به في كتاب: الإيمان . انظر صحيح البخاري (٣٠/١)، ورواه مسلم موصولا كتاب:الإيمان، برقم (٥٥). انظر صحيح مسلم (٧٤/١).

من رجال الأمن والهيئة، وإذا رأى الإنسان ما يكرهه أو ناله شيء من الظلم — حسب ما يرى- فلكل مرجعه؛ يستطيع أن يحاكمه إليه حتى يمكنه أن يوصل ذلك لأكبر مسؤول إن أراد أن يفعل بطرق مشروعة ومنضبطة.

والطاعة التي أمر الله بها هي الطاعة في غير معصية الله، ولذلك جاء في سبب نزول قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ [١]مِنْكُمْ) عَنْ عَلِيٍّ رضى الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ جَيْشًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلاً ، فَأَوْقَدَ نَارًا وَقَالَ ادْخُلُوهَا. فَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا ، وَقَالَ آخَرُونَ إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا ، فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ لِلآخَرِينَ: لاَ طَاعَةَ فِى مَعْصِيَةٍ ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِى الْمَعْرُوفِ[٢].

كما يجب أن تكون الجوانب الأمنية حاضرة في الخطب والمواعظ، ويعطيها الإمام والخطيب اهتماما كبيرا في توجيهاته، ويبين مدى أثر الأمن على راحة المجتمع وسعادته، وكيف تتبدل الحال بفقد الأمن وتظهر الفوضى في شتى المجالات.

وقد ضرب الله الأمثال لمكانة الأمن في المجتمعات، وما هي الأسباب التي تؤدي إلى فقده؟، وكيف تصبح الحياة سيئة بدونه؟، قال تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)[٣]، قال الإمام الرازي رحمه الله: ذكر الله تعالى لهذه القرية صفات :

الصفة الأولى : كونها آمنة أي ذات أمن لا يغار عليهم، كما قال : (أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ءامِناً وَيُتَخَطَّفُ الناس مِنْ حَوْلِهِمْ)[٤]، والأمر في مكة كان كذلك ، لأن

---

(١) أقول: وفي هذا دليل أنه يراد بهذه الآية الأمراء، والقول الثاني أن المراد بها العلماء، ورجح ابن كثير رحمه الله أنها تشمل الجميع. انظر تفسير ابن كثير (٥١٩/١).

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب:الأحكام، باب: بَاب السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ ما لم تَكُنْ مَعْصِيَةً. انظر صحيح البخاري ()، ورواه مسلم كتاب: الإمارة، برقم (١٨٤٠). انظر صحيح مسلم (١٤٦٩/٣).

(٣) سورة النحل الآية رقم (١١٢).

(٤) سورة العنكبوت الآية رقم (٦٧).

العرب كان يغير بعضهم على بعض، أما أهل مكة، فإنهم كانوا أهل حرم الله، والعـــرب كانوا يحترمونهم ويخصونهم بالتعظيم والتكريم .

والصفة الثانية : قوله : (مُّطْمَئِنَّةً)، قال الواحدي : معناه أنها قارة ساكنة فأهلـــها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق . أقول : إن كان المراد من كونها مطمئنة أنهم لا يحتاجون إلى الانتقال عنها بسبب الخوف ، فهذا هو معنى كونها آمنة ، وإن كان المراد أنهم لا يحتاجون إلى الانتقال عنها بسبب الضيق ، فهذا هو معنى قوله : (يَأْتِيهَـــا رِزْقُهَـــا رَغَدًا مّن كُلّ مَكَانٍ).

ثم قال الرازي رحمه الله: العقلاء قالوا : ثلاثة ليس لها نهاية ... الأمـــن والصـــحة والكفاية، قوله : (ءَامِنَةً) إشارة إلى الأمن ، وقوله : (مُّطْمَئِنَّةً) إشارة إلى الصـــحة ، لأن هواء ذلك البلد لما كان ملائماً لأمزجتهم اطمأنوا إليه واستقروا فيه ، وقولـــه : (يَأْتِيهَـــا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ) إشارة إلى الكفاية . قال المفسرون وقوله :(مِّن كُلِّ مَكَـــانٍ) السبب فيه إجابة دعوة إبراهيم عليه السلام وهو قوله : (فاجعل أَفْئِدَةً مّنَ الناس تَهْـــوِى إِلَيْهِمْ وارزقهم مّنَ الثمرات)(١)، ثم إنه تعالى لما وصف القرية بهذه الصفات الثلاثـــة قـــال :(فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ الله) الأنعم جمع نعمة مثل أشد وشدة (٢).

أقول وهذه الثلاثة التي ذكرها الإمام رحمه الله وهي: الأمن والصحة والكفاية؛ هي الأمور التي تسعى إليها الحكومات الصالحة في شعوبها، سواء أكانت شعوبا إسلامية أم غير إسلامية، وهي أهم الأمور التي يروج لها المنتخبون في الانتخابات في جميع الدول.

ومن أهم ما يجب أن يحذر منه الإمام والخطيب مفاسد العصر(٣) التي كان لها أكـــبر الأثر في الضياع والانحراف عن الصراط المستقيم، ويأتي في مقدمتها:

أ- الإعلام، وأعني به؛ الإعلام الإباحي الذي يقتل الفضيلة ويدعو إلى الرذيلة، وفي مقدمة وسائل الإعلام القنوات الفضائية الهدامة، التي كرست جهدها لإغواء البشرية ببحر الشهوات وسيل الشبهات.

---

(١) سورة إبراهيم عليه السلام الآية رقم (٣٧).

(٢) انظر تفسير الرازي (١٠٣/٢٠).

(٣) وهذه المفاسد وإن كان بعضها قديم الظهور إلا أنها في عصرنا أظهر.

ومن وسائل الإعلام الإنترنت وما يحمل بين ثناياه من كم هائل من المواقع الإباحية التي تروج للانحرافات العقدية والأخلاقية، وتدعوا للجريمة والتطرف والإرهاب.

ومن الوسائل الإعلامية الكثير من الصحف والمجلات التي كرست جهودها لنشر الإباحية علنا، أو ادرعت بشيء من الخير لتنشر الأباطيل والغواية.

ومن الوسائل القاتلة للفضيلة ما يتم تبادله بين الشباب من أشرطة الفيديو والغناء، والصور والمقاطع الفاضحة عن طريق البلوتوثات[١] وفي الهواتف المحمولة.

ب- التحذير من معاقرة المحرمات والفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ ومن أشدها خطرا المخدرات، والمسكرات، والزنا واللواط، وكلها معاصٍ جالبة للأضرار البدنية، والآثام الشرعية، وتترتب عليها عقوبات دنيوية وأخروية، فيبين الخطيب الأضرار بالتفصيل، ويحذر المؤمنين منها غاية التحذير.

ج- التحذير من التشبه بالكفار في لباسهم وهيئاهم، وعدم مشاركتهم في أعيادهم وعاداته، قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)[٢]، وقد أمر الله عز وجل بمخالفة الكفار في كثير من الآيات؛ فعند قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[٣] قال ابن كثير رحمه الله: فيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد، على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم، ولباسهم وأعيادهم، وعباداهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نُقَرر عليها[٤].

د- التحذير من الإسراف في بعض المباحات، وبيان المخاطر المترتبة على ذلك؛ مثل: التبذير والإسراف في المطاعم والمشارب حتى يجلب الإنسان على نفسه غضب الله، وقد نهى الشارع سبحنه عن التبذير، وأمر برعاية المحاويج القرابات فقال سبحانه وتعالى: (وَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا () إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ

---

(١) وسيلة مراسلات قريبة في الجوالات، والمحمول.

(٢) رواه أبو داود برقم (٤٠٣١). انظر سنن أبي داود (٤٤/٤).

(٣) سورة البقرة الآية رقم (١٠٤).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (١٤٩/١).

الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا)[١]، وقال تعالى: (يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)[٢].

هـ- ويحذر الإمام من الابتداع في الدين، ومن موافقة المبتدعين، ويدعو لمعرفة الحق من العلماء والأئمة الراسخين في العلم، قال الله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ)[٣]، قال ابن كثير: هذه أكبر نعم الله ، عز وجل، على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم ، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خُلْف، كما قال تعالى: (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا)[٤] أي: صدقا في الأخبار، وعدلا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم؛ ولهذا قال تعالى:(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِينًا) أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه[٥]، وفي السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ)[٦]، قال ابن عبد البر: كل من أحدث أحدث في الدين ما لا يرضاه الله و لم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه والله أعلم، وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم؛ مثل الخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم يُبَدِّلُون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجميع أهل الزيغ والأهواء والبدع، كل

---

(١) سورة الإسراء الآيتان رقم (٢٦، ٢٧).

(٢) سورة الأعرف الآية رقم (٣١).

(٣) سورة المائدة الآية رقم (٣).

(٤) سورة الأنعام الآية رقم (١١٥).

(٥) انظر تفسير ابن كثير (١٣/٢).

(٦) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: الصلح، باب: إذا اصْطَلَحُوا على صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ. انظر صحيح البخاري (٩٥٩/٢)، ورواه مسلم كتاب: الأقضية، برقم (١٧١٨). انظر صحيح مسلم (١٣٤٣/٣).

هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بهذا الخبر، ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد ليس في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان [١].

وأخيرا يجب على الإمام أن ينهج - في إقناعه وبيانه - الحكمة والموعظة الحسنة، وأن يكون عرضه ورده بالتي هي أحسن، قال تعال: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[٢]، قال الرازي رحمه الله : واعلم أنه تعالى أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الأحسن ، وقد ذكر الله تعالى هذا الجدل في آية أخرى فقال : (وَلاَ تجادلوا أَهْلَ الكتاب إِلاَّ بالتي هِيَ أَحْسَنُ)[٣]، ولما ذكر الله تعالى هذه الطرق الثلاثة وعطف بعضها على بعض، وجب أن تكون طرقاً متغايرة متباينة[٤].

أقول وهذه الثلاثة مجتمعة هي البصيرة التي قال الله عنها: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)[٥]، قال ابن كثير رحمه الله: يقول الله تعالى لعبد ورسوله إلى الثقلين: الإنس والجن، آمرًا له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله، أي طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بَصِيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكلّ من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي[٦].

ويكون دليل الخطيب والإمام في خطبهما ومواعظهما وتوجيهاتهما كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وهدي السلف الصالح رحمهم الله، ففي الكتاب الكريم الدعوة إلى إصلاح المجتمع في جميع النواحي، وقد جاءت السنة مبينة وموضحة لتلك الجوانب التي تدعوا للروابط المتينة بين المؤمنين، وفي فهم السلف الكرام ما يغني عن كثير من

---

(١) انظر التمهيد لابن عبد البر (٢٦٢/٢٠).
(٢) سورة النحل الآية رقم (١٢٥).
(٣) سورة العنكبوت الآية رقم (٤٦).
(٤) انظر تفسير الرازي (١١١/٢٠).
(٥) سورة يوسف عليه السلام (١٠٨).
(٦) انظر تفسير ابن كثير (٤٩٧/٢).

الاجتهادات الخاطئة، والتعرض للنصوص بما قد يسلبها الحكمة الإلهية وعظمة الشريعة السمحاء.

**الأمر الثاني:** الاهتمام بالأسرة، وتوجيهها إلى الخير والصلاح؛ لأن المجتمع يتكون من الأسر، وبصلاح الأسر يصلح المجتمع.

وفي مقدمة ما يهتم به الخطيب تعظيم مكانة الوالدين، قال الله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا () وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)[١]، وهذه الوصية ببر الوالدين عقب الأمر بتوحيد الله وعدم الإشراك به تكررت مراراً، وهذا لبيان عظم مكانة الوالدين، قال تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)[٢]، قال ابن كثير رحمه الله: أوصى بالإحسان إلى الوالدين، فإن الله، سبحانه، جعلهما سببا لخروجك من العدم إلى الوجود، وكثيرا ما يقرنُ الله، سبحانه، بين عبادته والإحسان إلى الوالدين، كقوله: (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ)[٣] وكقوله: (وَقَضَى رَبُّكَ ألا تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)[٤].

وفي السنة الشريفة ما يؤيد هذا التلازم بين توحيد الله وطاعة الوالدين، فعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضى الله عنه سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الصَّلاَةُ عَلَى مِيقَاتِهَا، قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ)[٥]، قال ابن حجر: بِرّ الْوَالِدَيْنِ - وَالِاعْتِنَاء بِأَمْرِهِمَا وَالْقِيَام بِمَصَالِحِهِمَا مِنْ قَضَاء دَيْن وَخِدْمَة وَنَفَقَة وَغَيْر ذَلِكَ - مِنْ أُمُور الدِّين وَالدُّنْيَا[٦].

---

(١) سورة الإسراء الآيتان (٢٣، ٢٤).

(٢) سورة النساء الآية رقم (٣٦).

(٣) سورة لقمان الآية رقم (١٤).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (١/٤٩٥).

(٥) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: الجهاد والسير، باب: فَضْلِ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ. انظر صحيح البخاري (٢/١٠٢٥)، ورواه مسلم كتاب: الإيمان، برقم (٨٥). انظر صحيح مسلم (١/٨٩).

(٦) انظر فتح الباري (٤/٧٠).

وفي بيانه صلى الله عليه لأكبر الكبائر قال: (أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُـــوقُ الْوَالِدَيْنِ)[١]، فجعل عقوق الوالدين يلي أعظم معصية عصي الله بها؛ وهي الشرك.

ومن الاهتمام بالأسرة بيان حقوق الزوجين على بعضهما؛ وهي من أكثر الحقـــوق ذكرا في الكتاب والسنة، لما لهما من أهمية في يجاد النسل وبقاء الجنس البشري؛ وقد تناول الفقهاء هذه الحقوق بعناية فائقة، وأطالوا في شرحها وبيانها، والحقوق؛ إما خاصة للزوجة أو خاصة للزوج أو مشتركة، فمن الآيات التي ذكرت الحقوق المشتركة؛ قولـــه تعـــالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[٢]، قال ابن كثير: أي: خلق لكم من جنسكم إناثا يَكُـــنَّ لكم أزواجا، (لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا)، كما قال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا)[٣] يعني بذلك: حواء، خلقها الله من آدم من ضِـــلَعه الأقصـــر الأيسر. ولو أنه جعل بني آدم كلهم ذكورا وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إمـــا من جان أو حيوان، لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نَفْرَة لو كانت الأزواج من غير الجنس. ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة: وهي المحبة، ورحمة: وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إمـــا لمحبته لها، أو لرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما، وغير ذلك، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[٤].

وقال تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَـــنِينَ وَحَفَدَةً)[٥]، قال ابن كثير رحمه الله: ذكر تعالى نعمه على عبيده، بأن جعـــل لهـــم مـــن أنفسهم أزواجًا من جنسهم وشكلهم وزيهم، ولو جعل الأزواج من نوع آخر لما حصـــل

---

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: الأدب، باب: عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ مِـــنَ الْكَبَـــائِرِ. انظـــر صـــحيح البخـــاري (٥/٢٢٢٩)، ورواه مسلم كتاب: الإيمان، برقم (٨٧). انظر صحيح مسلم (٩١/١).

(٢) سورة الروم الآية رقم (٢١).

(٣) سورة الأعراف الآية رقم (١٨٩).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٤٣٠/٣).

(٥) سورة النحل الآية رقم (٧٢).

ائتلاف ومودة ورحمة، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكورًا وإناثا، وجعل الإناث أزواجا للذكور[١].

وأولت السنة النبوية قضية الحقوق بين الزوجين اهتماما كبيرا، ففي الحقوق المتبادلة قال صلى الله عليه وسلم: في حجة الوداع: (اتَّقُوا اللَّهَ فِى النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ. فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)[٢]، والضرب المراد به الضرب الذي يكون للتأديب، والعدول إلى غير الضرب أفضل، قال ابن حجر: وَمَحَلّ ذَلِكَ أَنْ يَضْرِبهَا تَأْدِيبًا إِذَا رَأَى مِنْهَا مَا يَكْرَه فِيمَا يَجِب عَلَيْهَا فِيهِ طَاعَته ، فَإِنْ اِكْتَفَى بِالتَّهْدِيدِ وَنَحْوه كَانَ أَفْضَل ، وَمَهْمَا أَمْكَنَ الْوُصُول إِلَى الْغَرَض بِالْإِيهَامِ لَا يَعْدِل إِلَى الْفِعْل ، لِمَا فِي وُقُوع ذَلِكَ مِنْ النَّفْرَة الْمُضَادَّة لِحُسْنِ الْمُعَاشَرَة الْمَطْلُوبَة فِي الزَّوْجِيَّة ، إِلَّا إِذَا كَانَ فِي أَمْر يَتَعَلَّق بِمَعْصِيَةِ اللَّه[٣].

وفي جانب حديث الخطيب والإمام عن الأسرة يتحدثان عن حقوق الأولاد؛ لأن الوالدان لهما دور كبير في الاستقرار النفسي للأبناء، وفي التوجهات العلمية والدينية.

ومن أجل بقاء الجنس الإنسان واستمرار الخلافة في الأرض أمر الله بالزواج لإنجاب الولد، ومن أجل التربية الحسنة، أمر النبي صلى الله عليه وسلم باختيار الزوجة الصالحة، فقال صلى الله عليه وسلم: (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ)[٤]، قال النووي: وَفِي هَذَا الْحَدِيث الْحَثّ عَلَى مُصَاحَبَة أَهْل الدِّين فِي كُلّ شَيْء لِأَنَّ صَاحِبهمْ يَسْتَفِيد مِنْ أَخِلَاقهمْ وَبَرَكَتهمْ وَحُسْن طَرَائِقهمْ وَيَأْمَن الْمَفْسَدَة مِنْ جِهَتهمْ[٥].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/٥٧٨).

(٢) رواه مسلم كتاب: الحج،برقم (١٢١٨). انظر صحيح مسلم (٢/٨٨٩).

(٣) انظر فتح الباري (٩/٣٠٤).

أقول: تركت الحديث عن الحقوق الخاصة لكلا الزوجين اختصارا.

(٤) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: النكاح، باب: الْأَكْفَاء في الدِّين. انظر صحيح البخاري (٥/١٩٥٨)، ورواه مسلم كتاب: الرضاع، برقم (١٤٦٦). انظر صحيح مسلم (٢/١٠٨٦).

(٥) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٠/٥٢).

وفي وصايا لقمان عليه السلام لابنه ما يدل على العناية بالأبناء، وتربيتهم على الدين والاستقامة، وتنشئتهم التنشئة الصالحة، ومن تلك الوصايا قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[١]، وقال تعالى في نفس السياق: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ () وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ () وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)[٢]، قال ابن كثير رحمه الله: هذه وصايا نافعة قد حكاها الله تعالى عن لقمان الحكيم؛ ليمتثلها الناس ويقتدوا بها[٣].

والولد الصالح هو الثمرة التي يجنيها المؤمن في حياته، وتستمر بعد وفاته، قال صلى الله عليه وسلم: (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)[٤]،قال النووي: قَالَ الْعُلَمَاء : مَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ عَمَل الْمَيِّت يَنْقَطِع بِمَوْتِهِ ، وَيَنْقَطِع تَجَدُّد الثَّوَاب لَهُ ، إِلَّا فِي هَذِهِ الْأَشْيَاء الثَّلَاثَة ؛ لِكَوْنِهِ كَانَ سَبَبهَا ؛ فَإِنَّ الْوَلَد مِنْ كَسْبه ، وَكَذَلِكَ الْعِلْم الَّذِي خَلَّفَهُ مِنْ تَعْلِيم أَوْ تَصْنِيف ، وَكَذَلِكَ الصَّدَقَة الْجَارِيَة ، وَهِيَ الْوَقْف[٥].

كما يدعو الخطيب والإمام إلى مراعاة صلة القرابات والأرحام، وإلى تعظيم حق الجيران، ووجوب إكرام الضيف.

ذوو الأرحام: في اللغة: بمعنى: ذوي القرابة مطلقاً، وفي الشريعة: هو كل قريب ليس بذي سهم ولا عصبة[٦]، وذوو القربى؛ وهم الذين يقربون منه بولادة الأبوين أو بولادة الجدين[٧].

---

(١) سورة لقمان الآية رقم (١٣).

(٢)سورة لقمان الآيات (١٧-١٩).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣/٤٤٦).

(٤)رواه مسلم كتاب: الوصية، برقم (١٦٣١). انظر صحيح مسلم (٣/١٢٥٥).

(٥) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١١/٨٥).

(٦) انظر التعريفات لعبد القادر الجرجاني (ص١٤٥).

(٧) انظر تفسير الرازي (٥/٣٧).

وقد وردت الآيات الكريمة بذكر هذه الأصناف، قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)[١]، يعني من أحسن وجوه الإنفاق ما كان في هذه الوجوه، وقال تعالى: (وَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا)[٢]، وقال تعالى: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا)[٣]، قال ابن كثير: أي: هذا الحكم، وهو أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض، حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول، الذي لا يبدل، ولا يغير[٤]، قال تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)[٥]، قال ابن كثير: رحمه الله: عطف على الإحسان إلى الوالدين الإحسان إلى القرابات من الرجال والنساء، كما جاء في الحديث: (الصَّدَقَةُ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وعَلَى ذِي الرَّحِمِ صَدَقَةٌ وصِلَةٌ)[٦]، ثم قال: (وَالْيَتَامَى)، وذلك لأنهم قد فقدوا من يقوم بمصالحهم، ومن ينفق عليهم، فأمر الله بالإحسان إليهم والحنو عليهم، ثم قال: (وَالْمَسَاكِينِ)، وهم المحاويج من ذوي الحاجات الذين لا يجدون ما يقوم بكفايتهم، فأمر الله بمساعدتهم بما تتم به كفايتهم وتزول به ضرورتهم[٧].

---

(١) سورة البقرة الآية رقم (٢١٥).

(٢) سورة الإسراء الآية رقم (٢٦).

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم (٦)

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٤٦٩/٣).

(٥) سورة النساء الآية رقم (٣٦).

(٦) رواه النسائي برقم (٢٥٨٢). انظر سنن النسائي (٩٢/٥)، ورواه الترمذي برقم (٦٥٨) وقال: حديث حسن. حسن. نظر سنن الترمذي (٤٦/٣، ٤٧)، ورواه ابن ماجة برقم (١٨٤٤). انظر سنن ابن ماجة()، وصحح الحديث الألباني. انظر (٥٩١/١).

(٧) انظر تفسير ابن كثير (٤٩٥/١).

وفي الآية الكريمة ما يدل على العناية بالجيران الأقرب فالأقرب، وقال صلى الله عليه وسلم: (مَا زَالَ يُوصِينِى جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)(١).

وفي مدح الله لإبراهيم عليه السلام في إكرامه لأضيافه دليل على مكانة الضيفان، قال تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ () إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ () فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ () فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ)(٢)، قال ابن كثير: وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة؛ فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولا فقال: "نأتيكم بطعام؟" بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل فتي سمين مشوي، فقربه إليهم، لم يضعه، وقال: اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمرا يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: (أَلا تَأْكُلُونَ) على سبيل العرض والتلطف(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ، قَالُوا: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ)(٤)، قال النووي: النووي: وَالضِّيَافَة مِنْ آدَاب الْإِسْلَام ،وَخُلُق النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ(٥).

**الأمر الثالث:** العناية بالأفراد؛ ومن أهم الأمور التي يراعيها الخطيب في هذا الجانب أن يؤكد على الالتزام بحقوق الآخرين، ومنها ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم : (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلاَمِ ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ)(٦).

---

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: الأدب، باب: الوصاة بِالْجَارِ. انظر صحيح البخاري (٢٢٣٩/٥)، ورواه مسلم كتاب: البر والصلة والأدب، برقم (٢٦٢٥). انظر صحيح مسلم (٢٠٢٥/٤).

(٢) سورة الذاريات الآيات (٢٤-٢٧).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٢٣٦/٤).

(٤) متفق عليه؛ وهذا لفظ مسلم، رواه البخاري كتاب: الأدب، باب: إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَخِدْمَتِهِ إِيَّاهُ بِنَفْسِهِ. انظر صحيح البخاري (٢٢٧٢/٥)، ورواه مسلم كتاب: اللقطة، برقم (٤٨). انظر صحيح مسلم (١٣٥٢/٣).

(٥) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/٢).

(٦) متفق عليه، وفي بعض روايات مسلم ست، وزاد: (وَإِذَا اسْتَنْصَحَك فَانْصَحْ لَهُ)، رواه البخاري كتاب: الجنائز، باب: الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ. انظر صحيح البخاري (٤١٨/١)، ورواه مسلم كتاب: السلام، برقم (٢١٦٢). انظر صحيح مسلم (١٧٠٤/٤، ١٧٠٥).

الحث على تحقيق مبادئ النظافة العامة والخاصة، والنصوص كثيرة في أنواع الطهارة ولاغتسال، والسواك، وكون اللبس حسنا والنعل حسنا، والتطيب، ولامتشاط والادهان، والعمل بسنن الفطرة.

والحث على العناية بالمرافق العامة، فقد نهى الشارع عن إيـــذاء النـــاس في ظلـــهم وطرقاتهم، فقال صلى الله عليه وسلم: (اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ، قَالُوا وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّـــهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ)(١)، قال النووي: اِتَّقُوا فِعْل اللَّعَّانَيْنِ أَيْ : صَاحِبَيْ اللَّعْن ، وَهُمَا اللَّذَانِ يَلْعَنهُمَا النَّاس فِي الْعَادَة(٢). وَاَللَّه أَعْلَم، وقد أمر النبي صـــلى الله عليه وسلم بمراعاة حرمة الطريق، فقال صلى الله عليه وســـلم: (إِيَّـــاكُمْ وَالْجُلُـــوسَ بِالطُّرُقَاتِ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ: إِذَا أَبَيْـــتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَـــرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ)(٣).

**الأمر الرابع:** متابعة الانحرافات الفكرية، ومعرفة أسبابها، وشبهها، والـــرد عليهـــا وتفنيدها، وبيان الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وفهم السلف الكرام، وفي نصـــوص القرآن الكريم والسنة المطهرة الرد على كثير من الشبه، وهذه بعض الأمثلة:

١- زعم المشركون أن ما حدث منهم من كفر بالله وشراك به إنما هو برضـــا الله، ولو لم يكن برضاه لما وقع ولا كان، فرد الله عليهم هذه الشبهة في أكثر من موضع، قال تعالى: (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُـــونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ () قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)(٤).

---

(١) رواه مسلم كتاب: الطهارة، برقم (٢٦٩). انظر صحيح مسلم (٢٢٦/١).

(٢)انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٦٢/٣).

(٣) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: الاستئذان، باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًـــا غـــير بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا على أَهْلِهَا... .) الآية. انظر صحيح البخاري (٢٣٠٠/٥)، ورواه مسلم كتـــاب: اللباس والزينة، برقم (٢١٢١). انظر صحيح مسلم (١٦٧٥/٣).

(٤) سورة الأنعام الآيتان (١٤٨، ١٤٩).

ورد الله على من استبعد المعاد وقيام الناس لرب العالمين، قال تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ () قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ () الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ () أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ () إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[1].

وشبه المشركين كثيرة جدا، ومعظم ردود القرآن الكريم عليها، ومعظمها في السور المكية.

٢- رد الله على كثير من شبه أهل الكتاب، قال تعالى: (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ () بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[2]، وقال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)[3]، وشبههم وانحرافاهم كثيرة منثورة في السور المدنية أكثر منها في السور المكية، وقد ردها الله عليهم وفندها كلها.

**الأمر الخامس:** يجب على الخطيب والإمام أن يتحببا إلى المصلين بإيصال المعروف إليهم؛ لأن النفوس جبلت على سماع كلمة من أحسن إليها، وليكن رسولهما إليهم الصدقة والهدية، والسؤال الدائم عنهم، ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم.

ومن واجبات الخطيب والإمام أن يركزا على عظمة هذا الدين، وإحاطة الله بكل شيء علما، وعلى سعة رحمة لله، واستجابته لعباده، وما أعده لعباده الأخيار، ويكثرا من ضرب الأمثلة بالقدوات من الأنبياء والصالحين من الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم.

وإذا قام الخطيب والإمام بهذه الأمور فإنه يرجى أن يكون مستجاب الكلمة، قد أحاط بكثير من الأمور التي تحتاج إلى توجيه ووعظ وإرشاد.

---

(١) سورة يس الآيات (٧-٨٢).

(٢) سورة البقرة الآية (١١١، ١١٢).

(٣) سورة المائدة الآية رقم (١٨).

ويكونان بذلك قد ساعد الناس على امتثال أوامر الشريعة الغراء التي جاءت بالمحبة والسعادة، والتقوى والورع، وأن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، ويكونا قد ربيا مجتمعا بعيدا عن كل ما يؤدي إلى العداوة والمباغضة؛ من نميمة أو غيبة أو حسد أو سخرية أو استهزاء، ويعم بينهم الفكر السليم والتوجهات البناءة، فيتحقق الأمن للمجتمع، ويعم الرخاء والازدهار.

**المطلب الثالث: متابعة الإيجابيات الأمنية والفكرية والإشادة بها.**

في كل تجمع للمسلمين لابد من وجود إيجابيات، تظهر في الأعمال الخيرة، والأفكار البناءة، وعلى الإمام والخطيب متابعة هذه الإيجابيات في المجتمع والإشادة بها لتكون أعم في فائدتها، وليقتدي بها الجميع؛ لأن شيوع مثل هذه المبادئ السامية يجلب السعادة والرخاء والنماء والتقدم والازدهار.

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية ما يدل على هذا الأمر؛ فقد أثنى الله سبحانه وتعالى على بعض الأمم لما استجابت لربها، وقامت بواجب العبادة على أفضل وجه، قال تعالى عن قوم يونس عليه السلام لما استجابوا لدعوة الله: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ () فَآَمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)(١)، كما أثنى على المجتمع الذي تظهر فيه علامات الصلاح، كما في أول سورة المؤمنون، في قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)(٢)، والآيات التي بعدها، وكما في آخر سورة الفرقان من قوله تعالى : (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)(٣)، وما بعدها من آيات حتى ختام السورة، وقال تعالى عن هذه الأمة المباركة: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)(٤)، وفي القرآن الكريم كثير من الدلائل على هذا المعنى.

---

(١) سورة الصافات الآيتان (١٤٧، ١٤٨).

(٢) سورة المؤمنون الآية رقم (١).

(٣) سورة الفرقان الآية رقم ( ٦٣).

(٤) سورة آل عمران الآية رقم (١١٠).

وأثنى النبي صلى الله عليه وسلم على القرون الأولى من أمته فقال: (خَيْرُ أُمَّتِى قَرْنِى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)، قَالَ عِمْرَانُ:[1] فَلاَ أَدْرِى أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا[2].

وأثنى الله في كتابه على بعض الأسر بعينها، فقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ () ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[3]، وأثنى الله على نبيه زكريا وأسرته فقال تعالى: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)[4].

كما أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على بعض الأسر بعينها؛ لبعض الصفات التي تحلت بها، ولبعض العبادات التي ظهر التزامها بها، فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِى أَوْفَى رضي الله عنه - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ - قَالَ كَانَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَةٍ قَالَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِمْ، فَأَتَاهُ أَبِى بِصَدَقَتِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِى أَوْفَى)[5]، وأثنى على الأشعريين ببعض الصفات الكريمة التي اتصفوا بها، فقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ[6] إِذَا أَرْمَلُوا فِى الْغَزْوِ ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِى فِى ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِى إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ ، فَهُمْ مِنِّى وَأَنَا مِنْهُمْ)[7]، قال النووي رحمه الله: مَعْنَى ( أَرْمَلُوا ) فَنِيَ طَعَامهمْ . وَفِي هَذَا الْحَدِيث فَضِيلَة الْأَشْعَرِيِّينَ ،

---

(١) عمران بن حصين صحابي جليل وهو راوي الحديث.

(٢) رواه البخاري كتاب: فضائل الصحابة، باب: فَضَائِلِ أَصْحَابِ النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم. انظر صحيح البخاري (١٥٣٥/٣)، ورواه مسلم كتاب: فضائل الصحابة، برقم (٢٥٣٣). انظر صحيح مسلم (١٩٦٣/٤).

(٣) سورة آل عمران الآيتان (٣٣، ٣٤).

(٤) سورة الأنبياء (٩٠).

(٥) متفق عليه رواه البخاري كتاب: المغازي، باب: غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ. انظر صحيح البخاري (١٥٢٩/٤)، ورواه مسلم كتاب: الزكاة، برقم (١٠٧٨). انظر صحيح مسلم (٧٥٦/٢).

(٦) هم قوم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. انظر فتح الباري (٢٨٨/٦).

(٧) متفق عليه رواه البخاري كتاب: الشركة، باب: الشَّرِكَةِ فِي الطَّعَامِ وَالنَّهْدِ وَالْعُرُوضِ. انظر صحيح البخاري (٨٨٠/٢)، ورواه مسلم كتاب: فضائل الصحابة، برقم (٢٥٠٠). انظر صحيح مسلم (١٩٤٤/٤).

وَفَضِيلَة الْإِيثَار وَالْمُوَاسَاة ، وَفَضِيلَة خَلْط الْأَزْوَاد فِي السَّفَر ، وَفَضِيلَة جَمْعهَا فِي شَيْء عِنْد قِلَّتهَا فِي الْحَضَر ، ثُمَّ يَقْسِم[1].

وأما ثناء الله على الأفراد فكثير، فقد أثنى الله على أنبيائه في مواضع كثيرة من القرآن، كما في سورة مريم، وسورة الصافات، وسورة ص، وأثنى الله على الرجل الصالح كما في سورة يس، وعلى الرجل المؤمن كما في سورة غافر.

وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على الأفراد؛ فأثنى على أبي بكر رضي الله عنه في مواقف كثيرة منها؛ قوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلاَّ سُدَّ إِلاَّ بَابُ أَبِى بَكْرٍ)[2]، وأثنى صلى الله عليه وسلم على عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وأثنى على العشرة المبشرين بالجنة فردا فردا، وغيرهم كثير، كما أثنى على بعض الأفراد في بعض المواقف ثناء عاما، من ذلك ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ)[3].

فمن أهم الإيجابيات التي يجب على الإمام والخطيب الإشادة بها – على سبيل التمثيل لا الاستقصاء- ما يأتي:

١- المحافظة على الواجبات الشرعية في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، وقد مر معنا ثناء الله على عباده الذين يلتزمون بهذه الأمور ويدعون إليها.

٢- التواصل الاجتماعي بين فئات المجتمع، بين الصغار والكبار عموما، وبين الآباء والأبناء، والعلماء والعامة، والأغنياء والفقراء، والقرابات والأرحام.

٣- العناية بالمرافق العامة والخاصة، وما يحصل من المحافظة على مقدرات الوطن.

---

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٦٢/١٦).

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري كتاب: فضائل الصحابة، باب: فَضْلِ أبي بَكْرٍ بَعْدَ النبي صلى الله عليه وسلم. انظر صحيح البخاري (١٣٣٧/٣)، وراوه مسلم كتاب: فضائل الصحابة،برقم (٢٣٨٢). انظر صحيح مسلم (١٨٥٤/٤).

(٣) رواه مسلم كتاب: الزكاة، برقم (١٠١٧). انظر صحيح مسلم (٧٠٤/٢، ٧٠٥).

٤- الإشادة بالالتزام بالآداب العامة، وعدم العدوان، أو بخس الحقوق والواجبات بين أفراد المجتمع، ويثني على التعايش في أمان وسعادة.

٥- العناية بالأفكار الجديدة البناءة التي ترفع من مستوى الوعي والثقافة بين أفراد المجتمع مثل اللقاءات النافعة، ومراكز الأحياء، وإجراء اللقاءات العلمية والثقافية بين الجميع.

٦- الإشادة بشيوع روح المحبة والرحمة والإخاء بين الجميع، واختفاء الخصومات والعداوات بجميع أشكالها.

٧- إظهار الأنشطة التعاونية، والحاجة إلى زيادتها حتى يكون المجتمع أكثر تماسكا، وأقوى ترابطا.

٨- الثناء على اختفاء مظاهر الجهل والانحراف في أوساط المجتمع، والبعد عن السحر والشعوذة والخرافات.

٩- الإشادة بالتزام الجميع بالنواحي الأمنية، وقلة التعديات على الحقوق والممتلكات.

ولا شك أن بروز مثل هذه الأمور في المجتمع تجعله مجتمعا آمنا نقيا بعيدا عن منغصات الحياة ومشاكل الجهل والبعد عن الصراط القويم.

**المطلب الأخير: في الخاتمة وتتضمن أهم النتائج والتوصيات:**

وفي ختام هذه الرحلة المباركة في هذه الورقات المباركة كان لابد من خاتمة أبين فيها أهم النتائج والتوصيات.

وقبل أن أبدأ أود التنبيه إلى أني بذلت محاولة يسيرة ربما تفتح الباب لفذ ألمعي يستطيع أن يشحذ همته ويكتب أوفى مما كتبت، ويتقصى لمسائل أكثر مما فعلت، ويا حبذا أن تكون رسالة علمية؛ لتكون أكثر ضبطا، وأوسعا بحثا، وأكثر فائدة.

**أهم النتائج:**

إن النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث عظيمة جدا، ولعلي أذكر منها فيما يأتي بعض ما ورد الحديث عنه خلال البحث:

١- أن الأمن مسؤولية الجميع، وقد خاطب الكتاب والسنة به الجميع.

٢- أن الكتاب والسنة قد بينا هذا الجانب خير بيان، وأكدا عليه من أجل تحصيل الحياة السعيدة والخير والرخاء.

٣- أن علماء الإسلام كانت لهم كتابات مشرقة عن الأمن في كتب التفسير وشروح الحديث، وكتب السياسة الشرعية.

٤- أن مسؤولية الإمام والخطيب كبيرة، لأنهما أقرب المتحدثين إلى قلوب الناس، وهما القدوة الحية للآخرين.

٥- أن الإمام والخطيب الناجحان هما اللذان ينقلان الدين سمحا ميسرا كما أراده الله إلى المخاطبين.

٦- أن تثقيف الناس ومتابعتهم تربويا وتعليميا ضرورة يضطلع بها بادئ ذي بدء الإمام والخطيب.

٧- أن مراعاة حال المخاطبين والإحسان إليهم، وعمل الإمام والخطيب بالتوجيهات التي يدعوان إليها أمر ضروري لاستجابة الآخرين لدعوتهم.

**التوصيات:**

أعتقد أن التوصيات يجب أن تكون بحجم المسؤولية التي يتحملها الإمام والخطيب، وبحجم الموضوع الذي تمت الكتابة فيه، وللاختصار سأكتب بعض التوصيات، فمنها:

١- وجوب العناية بهاتين الشريحتين المؤثرتين في المجتمع، وذلك بحسن اختيارها، ومتابعتها، وإقامة البرامج التي ترفع من مستواهما.

٢- أن يكون الإمام والخطيب في مرتبة علمية عالية؛ تمكنهما من إيصال المعلومة للمخاطبين، ومعرفة الخلل ومعالجته، والتصدي للشبهات وتفنيدها.

٣- وجوب دراسة الوحيين دراسة واعية؛ لبيان كيف كان التغيير بهما حتى أصبح من كان في ضلال مبين خير أمة أخرجت للناس.

٤- متابعة المستجدات، وبيان الحق فيها، والدعوة إلى الاستفادة من الصالح منها، ونبذ ما يضر بالدين والأخلاق في المجتمع الإسلامي.

٥- تكثيف مثل هذه المؤتمرات التي تعنى بالإمام والخطيب؛ كي يقوما بعملهما على لوجه الذي يؤدي إلى الخير والصلاح.

٦- أرشح هذا المعهد المبارك ليكون المرجع الأول لهذا العمل المبـــارك، لموقعـــه في مهبط الوحي في هذه الجامعة المباركة، ولتخصصه الأكاديمي، ولما جمعه بين جنباتـــه مـــن إدارة واعية وأساتذة فضلاء متخصصين في الإمامة والخطابة.

**وصلى الله وسلم على أشرف الأنباء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين**

**وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

**د/ محمد يحيى غيلان**

# الفهارس

## فهرس الآيات القرآنية:

| الآية | رقمها | اسم السورة | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ... | ٤٤ | البقرة | ١٥ |
| وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى | ١١١، ١١٢ | = | ٥٤ |
| وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ | ١٨٦ | = | ٢٢ |
| يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ | ٢١٥ | = | ٥١ |
| إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ | ٣٣، ٣٤ | آل عمران | ٥٦ |
| كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ... | ١١٠ | = | ٥٥ |
| فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ | ١٥٩ | = | ١٤ |
| لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا... | ١٦٤ | = | ٣٤ |
| الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى .. | ١٨٣ | = | ٢٤ |
| وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا | ٣٦ | النساء | ٤٧ |
| يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ | ٥٩ | = | ٣٩ |
| وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى | ١١٥ | = | ٤٠ |
| يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ | ١٥٣ | = | ٢٣ |
| وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ ... | ٢ | المائدة | ٣٩ |
| الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي | ٣ | = | ٤٥ |
| يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ | ٤ | = | ٢٢ |
| وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ | ١٨ | = | ٥٤ |
| قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ | ١٩ | الأنعام | ٢٦ |
| وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا | ١١٥ | = | ٤٥ |
| وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا | ١٤٦-١٤٠ | = | ١٧ |
| سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا | ١٤٨، ١٤٩ | = | ٥٣ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ | ١٥١ | = | ١٨ |
| وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ | ١٥٣ | = | ٣٣ |
| يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ | ٣١ | الأعراف | ٤٥ |
| قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا | ١٥٨ | = | ٢٥ |
| هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ | ١٨٩ | = | ٤٨ |
| يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنفال | ١ | الأنفال | ٢٢ |
| لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ | ١٢٨ | التوبة | ١٤ |
| وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ... | ٨٨ | هود | ١٥ |
| لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ | ١١١ | يوسف | ٣٣ |
| وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ... | ٣٦ | النحل | ٣٢ |
| وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ | ٥٧ | = | ١٧ |
| (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا | ٥٨، ٥٩ | = | ١٧ |
| وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا | ٧٢ | = | ٤٨ |
| وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً | ١١٢ | = | ٤٢ |
| ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ | ١٢٥ | = | ٤٦ |
| إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ | ٩، ١٠ | الإسراء | ٣٣ |
| وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ | ١٧ | = | ٣٢ |
| وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا | ٢٣، ٢٤ | = | ٤٧ |
| وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ | ٢٦، ٢٧ | = | ٤٤ |
| وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ | ٣١ | = | ١٨ |
| يَسْأَلُونَكَ عَنِ الروح | ٨٥ | = | ٢٢ |
| وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا | ٩٠-٩٣ | = | ٢٣ |
| وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى القرنين | ٨٣ | الكهف | ٢٢ |
| وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الجبال | ١٠٥ | طه | ٢٢ |
| وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ ... | ٧٣ | الأنبياء | ٦ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ | ٩٠ | = | ٥٦ |
| وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ | ١٠٧ | = | ٢٦ |
| قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ | ١ | المؤمنون | ٥٥ |
| ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ | ٤٤ | = | ٣٢ |
| لَوْلا نزلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً | ٣٢ | الفرقان | ٢١ |
| وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا | ٣٣ | = | ٢١ |
| وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا | ٦٣ | = | ٥٥ |
| وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا... | ٧٤ | = | ٧ |
| وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا | ٥٧ | القصص | ١٠ |
| فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا | ٤٠ | العنكبوت | ٣١ |
| وَلاَ تجادلوا أَهْلَ الكتاب إِلاَّ بالتِي هِيَ أَحْسَنُ | ٤٦ | = | ٤٦ |
| أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ءامِناً | ٦٧ | = | ٤٢ |
| وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا | ٢١ | الروم | ٤٨ |
| ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه | ١٢ | لقمان | ٢ |
| وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ | ١٣ | = | ٥٠ |
| يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ | ١٧-١٩ | = | ٥٠ |
| وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ | ٦ | الأحزاب | ٥١ |
| يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا... | ٣٠ | يس | ٣٢ |
| وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ | ٧٨، ٨٢ | = | ٥٤ |
| وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ () فَآمَنُوا | ١٤٧، ١٤٨ | الصافات | ٥٥ |
| وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا | ٥٢، ٥٣ | الشورى | ٣٣ |
| وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ | ١٥ | الزخرف | ١٧ |
| يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ | ١١ | الحجرت | ٣٧ |
| هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ | ٢٤-٢٧ | الذاريات | ٥٢ |
| وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ | ٥٦، ٥٧ | = | ٣٦ |

## فهرس الأحاديث:

| | |
|---|---|
| إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَىَّ فِى صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ | ٥٧ |
| إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ | ٢٤ |
| (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِى الْغَزْوِ ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ | ٥٦ |
| إن هذا الدين يسر | ١٤ |
| إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ | ٥٣ |
| بعثت بالحنيفية السمحة | ١٤ |
| تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَىُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا | ٣٠ |
| تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ | ٤٩ |
| حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلاَمِ ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ | ٥٢ |
| خَيْرُ أُمَّتِى قَرْنِى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ | ٥٦ |
| رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ ، وَلَوْ أَذِنَ | ٢٩ |
| فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ | ١١ |
| فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ ، فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا | ١٢ |
| كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ | ٣٩ |
| كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ رَاعٍ ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ | ١١ |
| لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا | ٣٧ |
| لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ | ٣٨ |
| لَمَّا أُسْرِىَ بِى مَرَرْتُ بِرِجَالٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ | ١٦ |
| لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ لِلآخَرِينَ: | ٤٢ |
| مَا زَالَ يُوصِينِى جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ | ٥٢ |
| مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّىْءِ أَصْنَعُهُ | ٢٨ |
| مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ | ٢٩ |
| مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ | ٤٥ |
| مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِى سِرْبِهِ | ١٠ |
| مَنْ أَطَاعَنِى فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ عَصَى اللَّهَ | ٤٠ |

## فهرس المراجع:


١. القرآن الكريم.

٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.اسم المؤلف : محمد فؤاد عبدالباقي.دار النشر : دار الحديث. مدينة النشر القاهرة .سنة النشر: ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م.

٣. : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع . اسم المؤلف : علاء الدين الكاساني وفاة المؤلف : ٥٨٧هـ . دار النشر : دار الكتاب العربي . مدينة النشر : بيروت . سنة النشر : ١٩٨٢م . رقم الطبعة : الثانية . عدد الأجزاء : ٧.

٤. التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

٥. التفسير والمفسرون . اسم المؤلف : الدكتور محمد حسين الذهبي وفاة المؤلف : ١٣٩٧هـ . دار النشر : شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم . مدينة النشر : بيروت – لبنان . عدد الأجزاء : ٣.

٦. تفسير القرآن العظيم . اسم المؤلف : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء . وفاة المؤلف : ٧٧٤هـ . دار النشر : دار الفكر، وطبعة دار المعرفة

الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ . مدينة النشر : بيروت . سنة النشر : دار الفكر ١٤٠١هـ . عدد الأجزاء: ٤.

٧. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، اسم المؤلف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى. عدد الأجزاء: ٣٢.

٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن . اسم المؤلف : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري رحمه الله أبو جعفر . ولادة المؤلف : ٢٢٤هـ . وفاة المؤلف : ٣١٠هـ . دار النشر : دار الفكر . مدينة النشر : بيروت . سنة النشر : ١٤٠٥هـ . عدد الأجزاء: ٣٠.

٩. الجامع الصحيح المختصر . اسم المؤلف : محمد بن إسماعيل، أبو عبدالله البخاري الجعفي . ولادة المؤلف : ١٩٤هـ . وفاة المؤلف : ٢٥٦هـ . دار النشر : دار ابن كثير ، اليمامة . مدينة النشر : بيروت . سنة النشر : ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م . رقم الطبعة : الثالثة .عدد الأجزاء: ٦ . اسم المحقق : د. مصطفى ديب البغا.

١٠. الجامع لأحكام القرآن . لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. المتوفي سنة ٦٧١هـ. دار النشر: دار الشعب. عدد الأجزا: ٢٠.

١١. الذخيرة، تأليف: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، دار النشر: دار الغرب - بيروت - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء : ١٣ جزءا ، تحقيق: محمد حجي.

١٢. سنن أبي داود . اسم المؤلف : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي . ولادة المؤلف : ٢٠٢هـ . وفاة المؤلف : ٢٧٥هـ . دار النشر : دار الفكر عدد الأجزاء : ٤ . اسم المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد.

١٣. سنن الترمذي . اسم المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ولادة المؤلف :٢٠٩هـ . وفاة المؤلف :٢٧٩هـ . دار النشر : دار إحياء التراث العربي. مدينة النشر : بيروت . عدد الأجزاء : ٥ . اسم المحقق : أحمد محمد شاكر وآخرون.

١٤. سنن ابن ماجه . اسم المؤلف : محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني . ولادة المؤلف : ٢٠٧هـ . وفاة المؤلف : ٢٧٥هـ . دار النشر : دار الفكر . مدينة النشر : بيروت . عدد الأجزاء: ٢ . اسم المحقق : محمد فؤاد عبدالباقي.

١٥. سنن النسائي (المجتبى) . اسم المؤلف : أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي . ولادة المؤلف : ٢١٥هـ . وفاة المؤلف : ٣٠٣هـ . دار النشر : مكتب المطبوعات الإسلامية . مدينة النشر : حلب . سنة النشر : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م . رقم الطبعة : الثانية . عدد الأجزاء: ٨ . اسم المحقق : عبدالفتاح أبو غدة.

١٦. صحيح مسلم . اسم المؤلف : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري . ولادة المؤلف : ٢٠٦هـ . وفاة المؤلف : ٢٦١هـ . دار النشر : دار إحياء التراث العربي . مدينة النشر : بيروت . عدد الأجزاء: ٥ . اسم المحقق : محمد فؤاد عبدالباقي.

١٧. صحيح مسلم بشرح النووي . اسم المؤلف : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي . ولادة المؤلف : ٦٣١هـ . وفاة المؤلف : ٦٧٦هـ . دار النشر : دار إحياء التراث العربي . مدينة النشر : بيروت . سنة النشر : ١٣٩٢هـ . رقم الطبعة : الطبعة الثانية . عدد الأجزاء: ١٨.

١٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري . اسم المؤلف : أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني الشافعي . ولادة المؤلف : ٧٧٣هـ . وفاة المؤلف : ٨٥٢هـ . دار النشر : دار المعرفة . مدينة النشر : بيروت . سنة النشر : ١٣٧٩هـ . عدد الأجزاء: ١٣. اسم المحقق : محمد فؤاد عبدالباقي ، محب الدين الخطيب.

١٩. لسان العرب ، اسم المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار النشر : دار صادر - بيروت ، الطبعة : الأولى. عدد الأجزاء: ١٥.

٢٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . اسم المؤلف : علي بن أبي بكر الهيثمي وفاة المؤلف : ٨٠٧هـ . دار النشر : دار الريان للتراث ،دار الكتاب العربي . مدينة النشر : القاهرة ، بيروت . سنة النشر : ١٤٠٧هـ . عدد الأجزاء :١٠.

٢١.	مسند الإمام أحمد بن حنبل . اسم المؤلف : أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني . ولادة المؤلف : ١٦٤هـ . وفاة المؤلف : ٢٤١ هـ . دار النشر : مؤسسة قرطبة . مدينة النشر : مصر . عدد الأجزاء : ٦.

٢٢.	المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، اسم المؤلف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، دار النشر : المكتبة العلمية – بيروت. عدد الأجزاء:٢.

٢٣.	المغني في فقه الإمام أحمد، اسم المؤلف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، أبو محمد، دار النشر: دار الفكر-بيروت،١٤٠٥هـ الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١٠.

٢٤.	النهاية في غريب الحديث والأثر ، اسم المؤلف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، دار النشر : المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٦.

٢٥.	الوافي بالوفيات ، اسم المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، دار النشر : دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، عدد الأجزاء: ٢٩.

٢٦.	الوسيط في المذهب، اسم المؤلف: محمد بن محمد بن محمد الغزالي، أبو حامد، توفي:٥٠٥هـ، دار النشر: دار السلام القاهرة، سنة الطبع: ١٤١٧هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: أحمد محمود إبراهيم، ومحمد محمد تامر، عدد الأجزاء: ٧.

٢٧.	**مواقع إنترنت:**

موقع كلية الملك فهد الأمنية. http://www.kfsc.edu.sa/Docs/index.aspx.

## فهرس الموضوعات